الجمـــهورية الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE
MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR
ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA
Faculté des lettres et langues
Département de la langue et littérature arabe

وزارة التّعليم العـالي والبحـث العلمي
جامعـــة 8 مـاي 1945 قالمـــــة
كليّـــــة الآداب واللّغات
قسم اللّغة والأدب العربي

الرّقم:.....

مذكّرة مقدّمة لاستكمال متطلّبات نيل شهادة

الماستـر

تخصّص: أدب جزائري.

خصائص خطاب الهويّة في رواية "أنا وحاييم" للحبيب السّائح.

مقدّمة من قِبل:
الطّالبة: أمينة روميسة حدادي.
الطّالبة: مايسة لعرافة.

إشراف الدكتور : سعيد بومعزة.

تاريخ المناقشة: 12/ 07 / 2021

أمام اللّجنة المشكّلة من:

الاسم واللّقب	الرتبـة	الجامعة	الصّفة
د/عمّار بعداش	أ/محاضر "أ"	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	رئيسا
د/سعيد بومعزة	أ/محاضر "ب"	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مشرفا ومقرّرا
د/أحلام عثامنيّة	أ/محاضر " أ"	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مناقشا

السّنة الجامعيّة: 2021/2020

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وامتنان:

الحمد لله الذي وفقنا في إتمام هذا العمل المتواضع.

نتقدم بخالص الشكر والامتنان والتقدير للأستاذ **سعيد بومعزة** ،لقبوله الإشراف علينا ،وقد كان نِعم المُشرف والناصح والمُسير ،لم يبخل علينا وأرشدنا في كل خطوة طيلة فترة إجراء المذكرة.

والشكر موصول لكل من ساعدنا بمعلومة أو نصيحة ومد لنا يد العون،

أو مساعدته لنا في تنظيم المذكرة وإعدادها.

ونتقدم بخالص الشكر والامتنان لكل أساتذتنا لتفانيهم في تعليمنا ونصحنا ومساعدتنا من أول المراحل الدراسية إلى هذه اللحظة في جامعة 8 ماي 1945 –قالمة.-

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن ندعو الله عز وجل أن يُنير دربنا ،وأن يرزقنا السداد والتوفيق وأن يكون هذا العمل نافعا لكل طلاب العلم.

الطالبتين:

-أمينة روميسة حدادي.

-مايسة لعرافة.

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى من كافح من أجل إسعادي ونجاحي وسعى لإثارة حياتي بأشعة الأمل وأكبر رمز للشخصية أطال الله في عمره " **أبي الغالي**"

إلى من تملك جنة تحت القدم، كل ألفاظ لساني، كل شكر قد رهن، أجمعوا كل معاني من عراب أو عجم، لا توافي شكرها لا تجاوز العدم " **أمي الغالية**"

إلى أعز وأغلى ما أملك في الوجود " **أخوتي وأبنائهم وزوجاتهم** " و "**أخواتي وأبنائهن وأزواجهن**"

إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة، إلى كل أساتذتنا الأفاضل، وأخص بالتقدير والشكر: الدكتور "**سعيد بومعزة**"

إلى من امتزجت روحي بروحها صديقتي العزيزة ورفيقتي في المذكرة " **لعرافة مايسة**"

إلى كل **ثائر** في فلسطين

.وإلى كل من يفرحون لسعادتي، أحبكم جميعا

حدادي أمينة روميسة

إهداء

قال تعالى :(قُل اعملوُا فسيرى الله عملكُم ورسوله والمؤمنون)

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ... ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك

ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك ... ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك

الله سبحانه وتعالى

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ... ونصح الأمة ...إلى رسولنا الكريم

سيدنا مُحَمَّد ﷺ

إلى من أحمل اسمه بافتخار .. إلى من علمني العطاء بدون انتظار...

والدي العزيز.. حفظه الله

إلى أحلى ملاك ... إلى معنى الحب والحنان ...إلى بسمة الحياة ومعنى الوجود ...

إلى من كان دعائها سر نجاحي..

أمي الغالية

إلى إخوتي ...لمساندتهم لي ... وفقهم الله جميعا وأدام عليهم الصحة والعافية .

إلى زوجي ... مصدر قوتي .. ورفيق دربي .. لكلماته الطيبة .. ولتشجيعه الدائم .... حفظه الله

إلى صديقتي ورفيقتي في المذكرة ...**أمينة روميسة حدادي**

وإلى كل من حمل يديه يوما للدعاء من أجلي ،إلى كل من نسيهُ القلم وحفظهُ القلب ، أحبكم جميعا .

مايسة لعرافة

مقدمة:

مقدمة:

استطاعت الرواية الجزائرية المعاصرة أن تتفرّد وتتميّز شكلا ومضمونا، ما جعلها تقتنص مكانة مشرّفة بين الروايات العالميّة؛ ويعود السبب في ذلك إلى طبيعة الموضوعات التي تناولتها، كالوعي الأيديولوجي(الطاهر وطّار، وعبد الحميد بن هدوقة)، وقيميّة التاريخ(رشيد بوجدرة)، والسلام العالمي(واسيني الأعرج)، ومسألة الهويّة (الحبيب السائح)، هذه الأخيرة تعدّ من إشكالات الرواية العالمية والعربية، لا سيما الجزائريّة؛ لأنّها تحاول تمثّل الأنا بما يحوزه من مقوّمات أصيلة كاللغة، والدين، والمرجعية التاريخيّة والاجتماعيّة والإثنية، كما تسعى إلى تصوير هذه الهويّة في صراعها التاريخي مع الأنا المتحوّلة، والآخر البراغماتي، فإذا عدنا إلى الرواية الجزائرية وجدنا أنّ مسألة الهويّة تحوّلت إلى إشكالية طرح الروائيون من خلالها قضايا الانتماء، والوعي، والأرض، واللغة؛ ذلك أنّها خصوصيّة تاريخيّة تتميّز بمبدأ تعاقب الأجيال-إن صحّ القول-وأصبحت بذلك الوعاء الذي يحوي القضية الجزائرية بكل معالمها وأبعادها، فوجد فيها الأديب الشّكل الملائم للتّعبير عن قضايا شعبه، وآلامه وآماله، في تحقيق الحرّية والاستقلال، فصارت موضوعات الرّواية الجزائرية متمحورة حول حياة الشّعب الجزائري بمختلف فئاته، وطبقاته.

من بين القضايا المطروحة في الرواية الجزائرية، قضيّة الهويّة التي مثّلت إشكالية داخل المجتمعات العربيّة، بخاصة ما تعلّق منها بموضوع المواطنة بين شرائح المجتمع الواحد، وتتجسّد الهويّة في سلوكات الأفراد وطقوسهم الحياتية، فوجود كل فرد مقترن بانتسابه إلى هويّة ما التي تمثل قاسما مشتركا بينه وبين أبناء بلده كاللغة والعقيدة والعادات والثّقافة وحتى الوعي بالحاضر الرّاهن والمستقبل؛ لذلك فإنّ

تمثيلها في الرواية هو محاولة حذرة لقراءة تاريخية يعقبها الكثير من الجدلية على مستوى تمثّل الأنا الأصيل والأنا الهجين، ومن الروائيين الجزائريين الذين تمثّلوا موضوع الهويّة وإشكالاتها التاريخيّة والحضارية الروائي الجزائري الحبيب السايح في روايته أنا وحاييم، وقد لاقت هذه الرواية بعد صدورها موجة انتقادات واسعة من طرف النخبة المثقفة، الشيء الذي حفّزنا على دراستها ومساءلتها، بالإضافة إلى اقترانها بموضوع قيمي تجلّى في الهويّة وارتباطه بموضوعات ذات علاقة بالمرجعية الدينيّة، واللغويّة، والتاريخيّة، والإثنية، وكذا إصرار الأستاذ المشرف على تناول مثل هذه الموضوعات؛ للوقوف على تمثّلات الهويّة، ومظاهر المسكوت عنه، وقد جاء موضوع بحثنا موسوما بـ"**خصائص خطاب الهويّة في رواية أنا وحاييم للحبيب السائح**" ، وقد وقع اختيارنا لهذا الموضوع للإجابة على إشكاليّة الهويّة في رواية أنا وحاييم، وعلاقتها بقطبي الأنا والآخر، وقد قمنا بتقسيمها إلى إشكالات فرعية تمثّلت في:

- ما هو تعريف الهويّة؟ وما هي عناصرها وآلياتها التي تشكّلها انطلاقا من محكي الرواية الجزائرية؟
- هل استطاع الروائي إعادة تمثّل الهويّة الجزائرية من خلال الطرح الفنّي؟ وإن كان ذلك كذلك، فكيف تمّ استحضار الهويّة في الرواية عتباتيّا وفنيّا، وما هي آثاره الفنيّة والجمالية؟
- ما الدافع الذي أدّى بالروائي إلى تناول مثل هذه الموضوعات الحسّاسة في وقت تشهد فيه بعض الدول العربية عمليات التطبيع مع الجانب الإسرائيلي من باب التعايش العربي الإسرائيلي.

- هل استطاع الروائي أن ينقل صورة مخصوصة عن الوعي الهويّاتي الجزائري زمن الثورة التحريرية، وهل استطاع الإجابة عن الوجود اليهودي في الجزائري، بطريقة تشفع له في المخيال الشعبي الجزائري؟
- هل تعدّ رواية أنا وحاييم رواية تخييليّة بمرجعية تاريخيّة؟، وهل يمكن اعتبارها رواية تسجيليّة وثّقت للوجود اليهودي في الجزائر؟.
- هل تحكي الرواية قصة أرسلان من خلال حاييم أم العكس؟ أم أنّها تحكي قصة أنموذجين للتعايش الديني والحضاري؟.

للإجابة عن هذه الإشكالات قسّمنا بحثنا إلى مقدّمة، ومدخل نظري، وفصلين تطبيقيين، وخاتمة، فأمّا المدخل النظري الموسوم **بالهويّة من المفهوم إلى الممارسة،** فتطرّقنا فيه إلى مفهوم الهويّة لغة واصطلاحا، وأهمّ عناصرها، وكذا تجلّياتها في الرواية الجزائرية، وفي الفصل التطبيقي الأوّل المعنون **بالآثار الفنيّة للتجلّي الهويّاتي، وتمظهراته الدلاليّة** ، وفيه قمنا بمقاربة الخصائص الفنيّة المشكّلة لتيمة الهويّة كالعنوان، والتجلّي الشخوصي والفضائي، وفي الفصل التطبيقي الثاني الموسوم **بتمثّلات الهويّة وانعكاساتها الإيديولوجيّة،** حاولنا إبراز العلائقية الوظيفيّة بين أرسلان وحاييم، من خلال جملة من الطروحات المتعلّقة أساسا بالوعي الهويّاتي (الحوار الديني)، والأنساق المضمرة، وذيّلنا بحثنا بخاتمة تضمّ جملة من النتائج المتوصّل إليها.

اقتضت طبيعة البحث أن نقوم بدراسة نقدية تحليلية مع الاستعانة –في بعض الأحيان– بآثار النقد الثقافي، دون تطبيق آلياته الإجرائية حرفيا؛ لأنّ طبيعة الموضوع وحساسيّته، قد يجرّنا إلى ما لا

يحمد عقباه؛ بسبب الموقف الواضح والصريح للدولة الجزائرية اتجاه الأخر الإسرائيلي، فاكتفينا بتتبّع مسار القراءة التحليليّة الواصفة لتمثّلات الهويّة في الرواية وآثارها مع الأنا والآخر.

اعتمدنا -أثناء بحثنا- مجموعة من المراجع عضّدنا بها دراستنا، فكانت لنا عونا نذكر على سبيل المثال: مؤلف الهويّة واللغة في الوطن **لحسن الحنفي**. وكتاب السؤال عن الهويّة في التأسيس والنقد والمستقبل، **لبشير ربوح**. وكذا كتاب إشكالية الهوية والتعدّد اللغوي في المغرب العربي، **لإلياس بلكا ومحمد حراز**، والأنا والآخر ورهانات الهوية في المنظومة الأدبية الجزائرية، **لرشيد بوجدرة**، إلى غير ذلك من المراجع التي كانت المنبع الرئيسي للمعلومات التي تضمنتها الدراسة، والتي استفدنا منها كثيرا.

لا يمكننا أن نغفل آثار الصعوبات التي واجهتنا أثناء بحثنا، والتي كانت سلاحا ذو حدين، فقد كانت سببا في عرقلة بحثنا،كقلّة المراجع وندرتها، وخصوصيّة الموضوع عند الجزائريين، وكذا ضيق الوقت المخصّص للمذكرّة، ولكن كل تلك الصعوبات- وبتوفيق من الله- تحولّت إلى حوافز عملت على تشجيعنا لإتمام بحثنا في الوقت المحدّد.

في الأخير نتقدّم بجزيل الشكر إلى الأستاذ المشرف الذي ساعدنا بتوجيهاته على إتمام بحثنا، ولم يبخل علينا، سواء تعلّق الأمر بالجانب الشكلي أو المنهجي أو المعرفي، فله منّا جزيل الشكر والامتنان.

مدخل : الهوّية من المفهوم إلى الممارسة

1-1- الهوّية في اللغة.

1-2-الهويّة في الاصطلاح.

2-خصائص الهوّية.

2-1-الهوّية الدينية.

2-2-الهوّية الثقافية.

2-3-الهوّية اللغوية.

3-حضور الهوّية في الرواية الجزائرية.

1- مفهوم الهوّية:

1-1 الهوّية في اللغة :

يعدّ موضوع الهويّة من الموضوعات التي لاقت اهتمام العلماء والباحثين، والتي تم تعريفها في مختلف العلوم والمجالات، فقد جاءت في معجم لسان العرب على أنّها : "**هوية تصغير هوة وقيل الهوية بئر بعيدة المهواة**"[1]، كما جاءت في معجم الوسيط بنفس المعنى قيل : " **الهوية: البئر البعيدة القعر**"[2]، ويقصد بالهويّة البئر البعيدة؛ أي العميقة. والهويّة عند الجرجاني في معجم التعريفات هي:" **الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق**"[3]، ويتمحور معنى الهويّة عند الجرجاني حول الحقيقة المطلقة التي لا تحمل التزييف؛ أي لا استثناء فيها، فهي ليست حقيقة نسبية في الغيب المطلق، والغيب –ههنا- هو ما غاب عن الإنسان وهو موضع لا نراه.

يعرّف الباحث المصري حسن الحنفي الهويّة انطلاقا من اشتقاقها اللغوي: "**الهوية من الضمير (هو) يتحوّل إلى اسم، و معناه أن يكون الشخص(هو هو).هو اسم إشارة يحيل إلى الآخر و ليس إلى الأنا ....لان الهوية تثبت الآخر قبل إن تثبت الأنا...**"[4]، فالهويّة عنده هي ما يكون به الشيء هو الأصيل؛ أي من حيث تشخيصه وتحقّقه في ذاته وتميّزه عن غيره، وهو ضمير يشتمل على العادات والمقوّمات التي تكيّف وعي الجماعة وإرادتها في الوجود والحياة، داخل نطاق المحافظة على كيانه من الاضمحلال والزوال والفناء، كما أنّها تعنى بمطابقة النفس والخصوصية الحضارية التي تختزل

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة ، مصر، ط1 ،2005، ص4799

[2] مجموعة من المؤلفين: معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، ط5، 2011، ص1002

[3] عبد القاهر الجرجاني، التعريفات، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتفضيل، القاهرة، مصر، ط2004،1، ص278.

[4] حسن حنفي: الهويّة واللغة في الوطن، رابطه في موقع التجديد العربي www.arabenewal.info// -06-2010/ http:11

مجموعة من القيم الاجتماعية والسوسيوثقافية وحتّى الأنتروبولوجية؛ بمعنى التفرّد بجوهر الشيء، وماهيته، وأصله، ومرجعيّته .

1-2- الهوّية في الاصطلاح:

تعدّدت تعريفات الهويّة بتعدّد آراء الفلاسفة ومشاربهم، واختلاف إيديولوجياتهم، كما فسّرت بحسب طبيعتها التي تميل –بدرجة تزيد وتنقص- نحو التغيّر والتجدّد، وقد عرّفها الباحث **سعيد إسماعيل علي**• بأنّها "**جملة المعالم المميزة للشيء الذي تجعله هو هو ، بحيث لا تخطئ في تمييزه عن غيره من الأشياء (...)، فله نسقه القيمي ومعتقداته، وعاداته السلوكية، وميوله، واتجاهاته وثقافته، وهكذا الشأن بالنسبة للأمم والشعوب.**"[1] ، وفي هذا القول إشارة إلى أنّ الهوّية هي جوهر الكينونة، ومحور تجسيد الفرد لنفسه وقيمته ومعرفته لذاته ومن أجل ذاته، وأساس تمييز الأمّة عن غيرها من الأمم، فالهويّة –من هذا المنطلق- مسألة حضارية تؤسّس لوعي الفرد ووجوده.

عرّف الباحث المصري إسماعيل محمد الفقي• الهويّة بأنّها "**مجموعة من السمات الثقافية التي تتّصف بها جماعة من الناس في فترة زمنية معينة، والتي تولّد الإحساس لدى الأفراد**

•سعيد إسماعيل علي: ولد بالقاهرة عام 1937 م، تخرج من كلية الآداب قسم الفلسفة، جامعة القاهرة عام 1959م، يعرف ب أبو التربويين العرب و شيخ التربويين الإسلاميين ، رأس و أشرف على أقسام أصول التربية و التربية الإسلامية بجامعات الأزهر و قناة السويس و غيرها.4

•إسماعيل محمد الفقي: ولد في 14 أفريل 1952 ، أستاذ علم النفس التربوي ،و عضو مجلس إدارة، وأمين صندوق الجمعية المصرية للدراسات النفسية .

بالانتماء لشعب معين، والارتباط بوطن معين، والتعبير عن مشاعر الاعتزاز والفخر بالشعب الذي ينتمي إليه هؤلاء الأفراد "[1]، ويضيف الباحث خصيصة أصيلة للهويّة، والتي ترتبط أساسا بمفهوم الانتماء، ويتشّكل الانتماء—حسبه- عن طريق تضاعف الحضور الروحي والمعنوي الذي يتولّد خلال الإحساس الطبيعي والغريزي بمظاهر الاعتزاز والفخر بالأنا الوطني والقومي.

يرى المفكر المغربي محمد عابد الجابري• أنّ الهويّة هي" **كيان يصير، يتطوّر، وليس معطى جاهزا ونهائيا ، هي تصير وتتطوّر، إمّا في اتجاه الانكماش وإمّا في اتجاه الانتشار، وهي تعتني بتجارب أهلها ومعاناتهم وانتصاراتهم وتطلّعاتهم، وأيضا احتكاكها سلبا وإيجابا مع الهويّات الثقافية الأخرى.**"[2] فالفرد داخل الجماعة عبارة عن هويّة متميّزة مستقلّة مرتبطة بمفهومي التطوّر والصيرورة، تعبّر عن جدلية (الأنا) و(الآخر) داخل مجموعات اجتماعية متباينة ومتصارعة، وتتضمّن الهويّة كل تجارب الأفراد القبلية والبعدية، كما تصوّر مظاهر الاحتكاك بالأخر؛ إمّا عن طريق المثاقفة، أو عن طريق خطاب الهيمنة والتمّلك والتوسّع.

اتجه المفكر الإسلامي **محمد عمارة•**إلى القول بأنّ "**الهوّية كالبصمة بالنسبة للإنسان،يتميّز بها عن غيره و تتجدد فاعليتها ، و يتجلى وجهها كلما أزيلت من فوقها طوارئ**

[1] منتدى العلماء، الهوّية والثقافة، مجلة الكترونية، 22-6-2016./http//msf-online.com

•محمد عابد الجابري: مفكّر مغربي ولد في 27 ديسمبر 1935 بالدار البيضاء ، المغرب، وهو مفكر وفيلسوف مغربي، له 30 مؤلفا في قضايا الفكر المعاصر، و شغل كأستاذ للفلسفة والفكر العربي الإسلامي في كلية الأدب بالرباط، وتوفي 3 ماي 2010.

[2] محمد عابد الجابري ،العرب و العولمة ،مركز ايسات الوحدة العربية ، القاهرة ، مصر،1998 ، ص298.

•محمد عمارة: ولد في 8 ديسمبر 1931،مفكر إسلامي مصري، ومؤلف ومحقق مخطوطات، وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، وعضو هيئة كبار علماء الأزهر، وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر.

الطمس و الحجب، دون أن تخلي مكانها و مكانتها لغيرها من البصمات."[1]، فهي جوهر وجود الإنسان وبها تحدّد جميع صفاته، وخصائصه، ومرجعيّاته، تتجلّى وتفصح عن ذاتها دون أن تخلي مكانها لنقيضها، طالما بقيت الذات تنبض بالحياة .

هناك من ذهب إلى القول بأنّ الهويّة :"**هي التمشي الذي يقوم به الفرد لبناء مختلف مظاهر شخصيّته سواء كانت هذه المظاهر حالية م ماضية أم مستقبلية ،و في المظاهر التي يحددّ بها الفرد ذاته أو يقبل أن يحدّد بها."**[2]، وهنا نشير إلى أنّ الهويّة هي مجموعة من الخصائص والمميّزات العقدية، والأخلاقية، والثقافية، والرمزية التي ينفرد بها شخص أو مجموعة اجتماعية، تجعلها مختلفة عن باقي المجموعات الاجتماعيّة الأخرى دون أن تفقدها قيمتاها وحضورها التاريخي والحضاري، فالهويّة ميزة إنسانيّة تتنزّل جميع الأمم والحضارات دون استثناء، ويمكن إجمالها في" **ثقافة الفرد و لغته و عقيدته و حضارته و تاريخه "**[3]، فمهما اختلفت التعريفات وتباينت الأراء والطروحات حول مفهوم الهوّية وعلاقتها بالأنا والآخر؛ إلاّ أنّها تنصهر كلها داخل بوتقة واحدة، ألا وهي بوتقة الحضارة الإنسانية، فالهويّة هي مجموع السمات والخصائص المشتركة التي تميز أمّة عن غيرها من الأمم، تشكّل جوهر وجودها الإنساني والحضاري.

---

[1] محمد عمارة ، مخاطر العولمة على الهوّية الثقافية ، دار النهضة ، مصر للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ،مصر، ط1 ، 1999، ص06.

[2] سلطان بلغيث، تمظهرات أزمة الهوّية لدى الشباب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تبسة، الجزائر،عدد خاص ،2019 ص03.

[3] صائب عبد الحميد، الدين والهوّية وسؤال التغيير، ضمن مؤلف جماعي، البشير ربوح ، السؤال عن الهوية في التأسيس...والنقد...والمستقبل، كلمة للنشر والتوزيع ، تونس، ط1 ،2016، ص413.

2-خصائص الهوية :

لا يمكن التطرق لموضوع الهويّة دون الوقوف على أهمّ الخصائص التي تشكّلها، والتي تحدّد هويّة المجتمع، وبطاقة تعريفه التاريخيّة، ومن هذه الخصائص نذكر:

2-1- الهوّية الدينية:

منذ أقدم العصور كانت الظواهر الطبيعيّة المحيطة بالإنسان تجعله يفسّرها تفسيرا لاهوتيا أو طوطميا، فقد كانت تعدّ مرجعية الأفراد الدينيّة تحدّد روحانيتهم وتوجّهها، حتّى أنّ أبطالهم كانوا ينعتون بصفات دينية، ذلك أنّ الدين فطرة الله في الإنسان.

يعرّف الباحث محمد الزحيلي الدين بأنّه : "... **هو مجموعة من المبادئ و القيم التي تدين بها امة أو جماعة اعتقادا ، و عملا ،و تظهر في الكتب و مراجع و روايات و تتمثل في عادات خارجية أو أثار اجتماعية.**"[1]، فالدين عنده مرادف للهويّة، وعنصر أساس من عناصرها، وعليه تتجلّى مجموعة المبادئ، والقيم، والعادات، وغيرها من العناصر المشكّلة للهويّة، ومن هنا نستنتج أن الدين عامل مؤثّر في تشكيل الهويّة الجماعية؛ باعتباره ظاهرة كونية تساهم في تشكيل الصورة النهائية لهويّة مجموعة اجتماعيّة.

[1] محمد الزحيلي، وظيفة الدين في الحياة و حاجة الناس إليه، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، دمشق، سوريا،ط1991،1،ص18.

عند الحديث عن المجتمع الجزائري ومرجعيّاته الدينيّة، تستوقفنا أهمّ الأحداث التاريخية التي حاولت طمس هويّته الدينيّة، بخاصة إبّان الاحتلال الفرنسي، وكيف حافظ الجزائريون على مرجعيّتهم الدينيّة من أيّ تزييف، وهنا وجب الحديث عن دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الدفاع عن ثوابت الأمّة الجزائريّة وهويّتها، من خلال دور المساجد التي اضطلعت بمهمة تعليم القرآن الكريم واللغة العربية، ونظرا لمدى تأثير المرجعية الدينيّة (الإسلام) في توجيه سلوك الفرد، وتنظيم علاقاتاته الاجتماعيّة والسوسيوثقافيّة، يمكننا القول إنّ المرجعية الدينيّة تعدّ أهمّ مرجعيّة تشكلّ هويّة الفرد، ووعيه الوجودي.

2-2- الهوّية الثقافية :

يجرّنا الحديث عن الهويّة الدينيّة إلى الحديث عن الهويّة الثقافة التي نجدها تلامس جملة من العناصر المشكّلة للحضور الأنتروبولوجي الجمعي: كالمعتقدات، والفنون، والأخلاق، والأعراف، والعادات، وغيرها، فالثقافة قد تكون بمثابة الوجه الآخر لمفهوم الهوية؛ باعتبارها القاعدة أو الأساس التي تقوم عليها المرجعيّة الثقافية، ونشير –هنا- إلى أنّ الهويّة والثقافة وجهان لعملة واحدة، يتجلّى دورهما في تعزيز الحضور الإثني للأمّة، ما يجعلها تتفرّد بمجموعة مميّزات قبلية وبعدية؛ حتى لا تذوب وتتلاشى داخل هويّات مضادة، وقد تتجلّى الهويّة الثقافية في أبسط الأشياء كالأكل، والشرب، واللباس، والممارسة السلوكيّة واللفظيّة، كما قد تتجلّى في أعقدها كأنماط التفكير مثلا، وبذلك تتفاعل جميع هذه الأشكال لتشكّل الهويّة الثقافيّة؛ لاشتراكهما في الكثير من الآثار التاريخية على مستوى الوعي الجمعي، ويرى الباحث إسماعيل ملحم أنّ الثقافة" **تبقى أحد أهم الأسباب التي**

تحفظ لأمة من الأمم تماسكها و تحصينها من العوامل التشرذم التفتت و الانحلال (...) **بالثقافة تحافظ الأمم على تماسكها**."[1]، وفي ذلك إشارة صريحة وواضحة إلى دور المرجعيّة الثقافيّة في الحفاظ على الفرد وتماسك الأمّة من التلاشي والزوال، فالانحلال في ثقافة الآخر معناه ضياع المكتسبات القبلية، وقد علمتنا التجربة التاريخية بأنّ ضياع الأثر الثقافي المحلّي المتجذّر في أعماق تاريخ الأمم معنا بداية نهاية تلك الأمّة، وبذلك فالباحث يدعو إلى ضرورة الحفاظ على المكتسبات الثقافية للحفاظ على الهويّة وفق علاقة اطّراد، تؤكّد مبدأ التكامل والتماثل الوظيفي .

اشتغلت الهوّية الثقافية الجزائرية بمجموعة من الخصائص جعلتها تختلف عن الهويّات الثقافيّة الأخرى، ونجدها منتشرة في عاداتنا وتقاليدنا، في أكلنا وشربنا، وفي تصوّرانتا الأنتربولوجيّة، كما أنّها ثقافة مدعومة؛ كونها جزءا لا يتجزّأ من ثقافة العالم العربي والإسلامي، وهذا الانتماء يحظى بقبول مطلق من طرف جميع أفراد المجتمع الجزائري، هذا على الصعيد القومي، أمّا محليّا فإنّ هناك عدّة عوامل تتكوّن منها الهويّة الثقافية الجزائرية: كالدين الإسلامي، واللغة العربية، والأصل الأمازيغي ...إلخ، فالمجتمع الجزائري مجتمع إثني، ومتعدّد الثقافات فهو يجمع بين العروبة والأمازيغية، والمرجعية الإسلامية، والتواصل الإفريقي والأوروبي، ضمن توليفة هويّاتيّة منفتحة على الأنا والآخر.

[1] إسماعيل ملحم ، الخصوصية في الثقافة القومية العربية (دور الإنتاجية و الإبداع)، منشورات إتحاد الكتاب، سوريا 1996،ص 16.

2-3- الهويّة اللغوية:

ترتبط الهويّة ارتباطا وثيقا باللّغة ارتباط العلّة بالمعلول، فالهويّة تؤثّر في اللغة، وتشكّلها، وتمثّلها، والعكس صحيح، ولا ينحصر دور اللغة في التواصل فقط؛ بل يمتدّ إلى توثيق روابط الوحدة الجماعية، وهو دور يزيد من توطيد علائقيّة مفهوم الهوية، فالمجموعة المترابطة لغويا نقول أنّها ذات هويّة موحّدة- والكلام ليس للتعميم-، وهذا ما تقوم به اللغة -على وجه الخصوص- فيما تعلّق بحفظ تاريخ الجماعة أو إقامة جسور التواصل بين الأجيال، وبذلك لا تندثر لغة الجماعة، ففي أشكال الحضور اللغوي ترتسم ملامح هويّتها.

تكلّم الباحث والأكاديمي الجزائري **بشير ربوح** في كتابه: "السؤال عن الهوية" عن الحضور الحضاري للّغة ورأى بأنّها "**مظهر ذاتي تعبّر عن كيانها اللغوي ووجودها وحقيقة هذا الوجود بين اللغات، ومظهر أخر موضوعي تعبر به عن القوم الذي ينطقون بها ويعبرّون بها عن أغراضهم وعن هويتهم الثقافية والتاريخية والدينية وغيرها.**"[1]، والهويّة اللغويّة -بهذا المعنى- تتجلّى بمظهرين: مظهر ذاتي يعبّر به عن كيانها اللغوي، ووجودها، وحقيقة هذا الوجود بين اللغات، ومظهر موضوعي يعبّر به عن الفرد الذي ينطق بها، ويعبّر بها عن أغراضه، وهويّته الثقافية، والتاريخية، والدينية.

في سياق حديثنا عن مرتكزات المجتمع الجزائري وجدنا أنّه متعدّد اللّغات، فعلى المستوى الرسمي اعتمدت الدولة الجزائرية اللغة الأمازيغية كلغة وطنية، وهي ضعيفة الانتشار-ما عدا القبائل

[1] بوبكر جيلالي، اللغة والهوّية والعولمة: معركة المفاهيم، البشير ربوح، السؤال عن الهوية، مرجع سابق،ص170.

الصغرى والقبائل الكبرى – مقارنة باللغة العربية التي تعدّ اللغة الرسمية الأول في الجزائر، وتنطق بها شرائح واسعة من المجتمع الجزائري، إلاّ أنّه لا يجب أن نتغاضى عن اللهجة العاميّة، وهي الأكثر تداولا بين فئات المجتمع الجزائري، بالإضافة إلى اللغة الفرنسية؛ باعتبارها لغة تحيل للمشهد الكولونيالي(الاستعماري)، وهي لغة المستعمر، ويعود انتشار تداولها بين أطياف المجتمع الجزائري إلى المعركة الشرسة التي خاضها الاستعمار للقضاء على اللغة العربية في الجزائر، ولكن بفضل وعي المجتمع الجزائري بهويّته وثوابته، فقد صمدت اللغة العربية و ارتقت إلى ما هي عليه اليوم .

3– حضور الهويّة في الرواية الجزائرية :

يعدّ المغرب العربي الممتد من ليبيا شرقا مرورا بالجزائر ووصولا إلى الصحراء الغربية غربا، جزءا من الوطن العربي، ولهذه المنطقة المغاربية —على غرار باقي المناطق العالمية–خصائص تميزها وتجعلها متفرّدة إقليميّا وعالميّا، أهمّها التركيبة السكانية لهذه المنطقة التي تتكوّن أساسا من العرب والأمازيغ الذين تعايشوا وتزاوجوا منذ الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا، ففرنسا عندما احتلت الجزائر ضربت الشعب الجزائري في لغته، ودينه، وهويّته، وسعت إلى نشر لغتها وثقافتها (هويّة بديلة)، حتىّ أصبحت اللغة الفرنسيّة —حتّى يومنا هذا– جزء لا يتجزّأ من الشعب الجزائري، يستعملها و يتعامل بها في الإدارات، والمؤسّسات التعليم، والتطبيقات، ووسائل الإعلام، وحتّى في حياتنا اليوميّة، وهذا ما نتج عنه ما يسمّى اليوم بأزمة الهويّة، فتحوّلت مع ازدياد بؤرتها إلى قضيّة حكومة ورأي عام، تطرح الكثير من الأسئلة المتعلّقة بالازدواجية اللغويّة، وحضور ثقافة الآخر داخل ثقافتنا ، مع محاولة تغييب الثقافة المحليّة، بخاصة في الوسط الأدبي ف فرضت نفسها لغويا منتجة لغة هجينة، ما جعل الهويّة الأصيلة

تعيش انتكاسات الأنا والآخر، من هذا المنظور لا يمكن فهم مسألة الهويّة ، ودراسة أصولها، وآثارها و ما دار فيها – و ما زال يدور حولها – من مساجلات، دون التوقف عند قضية اللغة الفرنسيّة وموقف الباحثين منها.

يقول الكاتب والروائي الجزائري مولود فرعون:" **أكتب بالفرنسية و أتكلّم بالفرنسية ؛لأقول للفرنسيين أنّي لست فرنسيا.**" [1]، وهو الذي كان فقيرا، ولكن هذا لم يمنعه من الدراسة، والوقوف مع قضايا بلده، وقد انشغل بهموم الجزائر الوطنيّة، وكتب باللغة الفرنسيّة، رغم أنّه كان يشجّع على التعليم وتعلّم اللغة العربية، فقد كان يردّد: "**المستقبل في الجزائر للغة العربية** "[2]، وتعدّ روايته (ابن الفقير) رواية واقعية انتقادية بامتياز، كما يمكن إدراجها ضمن خانة السرد السيري، ذلك أنّها سردت معاناة الشعب الجزائري خلال الاحتلال الفرنسي، والصراع الطبقي في ظل مبدأ التفريق العنصري بين الجزائريين والمعمّرين، ويبرز الكاتب في شخصيّة البطل فورولو منراد الذي يعكس دور الثقافة والكتابات الفرنسية في صقل شخصيّته؛ لأنّه كان يقرأ لأدباء فرنسيين، و كان يفكّر في جعل صورة ذاته كصورة للآخر، وقد أشار في روايته إلى العادات والتقاليد، والجماعات والألفاظ الأمازيغية، والارتباط العرق، ويعدّ ذلك مدخلا إلى دراسة الهويّة الجماعيّة الأصيلة.

كان لقضية الهويّة تأثير كبير في كتابات الروائي **ياسمينة خضرا** ، بخاصة في روايته، **فضل الليل على النهار**، وبطله يونس المرفوض من قبل أصدقائه بسبب اسمه، والذي يغيره إلى جوناس،

[1] إلياس بلكا ومحمد حراز، إشكالية الهوية و التعدد اللغوي في المغرب العربي ، مركز الإمارات للدراسات و البحوث الإستراتجية، ط1 ، 2014 ،ص09.

[2] مليكة ياسين ، الكتابة في دروب وعرة ، مجلة العربي الجديد ، مصر ،8 مارس 2020.

وقد أدّى هذا الفعل إلى طمس الهويّة، كما تحدّث الروائي عن موقف الشعب الجزائري من الاحتلال، من خلال حديثه عن التعليم باللغة الفرنسية، ومحاولة فرنسا للقضاء على اللغة العربية ، والتهميش الذي طال الفرد الجزائري في ظلّ الامتيازات التي كان ينالها الفرد الفرنسي (المعمّر).

أطلق العلامة الجزائري عبد الحميد بن باديس على مصطلح الهويّة مفهوم الشخصية الوطنية، وكذا الجنسية القومية، فقد دعا إلى التقيّد بالدين الإسلامي، والتمسّك بمقوّمات الشخصيّة الجزائريّة، كما حارب الاستعمار ورفض سياسة الإدماج التي تؤدّي إلى القضاء على الشعب الجزائري، ولغته العربية، وأسس شخصيّته، ودينه، يقول" **نحن فتشنا في الصحف، ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال ولها وحدتها الدينية واللغوية ، ولها ثقافتها الخاصة وعوائدها وأخلاقها من حسن وقبيح شأن كل أمة في الدنيا .**"[1]

للهويّة المتجدّدة حضور في أعمال الروائي واسيني الأعرج نحو رواية (مملكة الفراشة)، فالرواية تصوّر البطل (ياما)، وهو في رحلة البحث عن ذاته خلال أواخر القرن العشرين، ويعرض الروائي شخصية (ياما) كعرض لمشروع هويّاتي ثقافي "**يستدعي تغيير المألوف من القيم والمبادئ والأحكام، ورسم صورة جديدة لواقع، الأنا بعيدا عن الصور النمطية التي تتبناها الجماعة.**"[2]، وقد وظف واسيني في هذه الرواية نصوصا قرآنية ودينية من الكتب السماويّة على لسان البطل،

[1] تركي رابح عمامرة، شيخ عبد الحميد بن باديس ، باعث النهضة العربية في الجزائر المعاصرة ، ط2 ، 2003 ، ص 101.

[2] وهيبة إسماعيل: تضايف اللغة والهوّية في رواية (مملكة الفراشة) لواسيني الأعرج، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية ،جامعة العربي تبسي، تبسة، الجزائر، العدد 14 ،ص 03.

فالدين مظهر كوني وإنساني يتجاوز-حسبه- الطروحات الضيّقة للهويّة الدينيّة، ويعيد تشكيلها داخل خطاب التسامح الديني والحوار الحضاري.

تعدّ روايته **الأمير- مسالك أبواب الحديد-** من أبرز الروايات التي طرحت فيها قضية الهويّة الملتزمة، فهي تحكي حياة الأمير عبد القادر خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، وتروي كفاحه ضد الاحتلال الفرنسي في الدفاع عن أرضه، وهنا يطرح الروائي -بقوّة خطابية- مقولتي الحوار الحضاري والتعايش الديني، من خلال شخصيتي الأمير ومونسنيور ديبوش، في ظل الصراع الديني الذي يشهده العالم اليوم، ويمكن عدّه وجها آخر من أوجه الحروب الصليبية الحديثة والمعاصرة، فالروية تحتكم لخطاب المهادنة والمجاورة في الطرح الديني والأيديولوجي، ويقول الروائي رشيد بوجدرة معرّفا الهويّة ومبرّرا لها في كتاباته" **أنها ذات بعد إستراتيجي في الكيان الجزائري، وهذا ما جعل الكثير من الدارسين يتصوّرون بأنها ذلك الميكانيزم الفعّال في خلق الجدلية الوجودية بين الذات الجزائرية وبين المحيط والكيانات المتقاطعة معها عبر العصور وفي الآونة الأخيرة**"[1] .

ولا يمكن الحديث عن الهوية في الرواية الجزائرية دون الحديث عن رواية **أنا وحاييم** للروائي الجزائري الحبيب السائح الصادرة سنة 2018، والتي أدت لتعرّضه إلى الكثير من الانتقادات،كونها تطرح موضوع الهويّة بطريقة حذرة، من خلال علاقة الصداقة المتينة بين أرسلان ابن القايد، وحاييم ابن اليهودي، فهما قد تشاركا نفس الوضع المعيشي، والثقافي، والسياسي، رغم الاختلاف العقدي.

[1] رشيد بوجدرة ، الأنا والآخر ورهانات الهوّية في المنظومة الأدبية الجزائرية منشورات دار الأديب، وهران ،الجزائر، ط1 ،2007، ص 160.

تشارك أرسلان وحاييم رحلة الدراسة من سعيدة إلى العاصمة، أين تعرضا للعنصرية واكتشفا تعرفا على المناخ الثقافي والسياسي الذي سبق الثورة، وشاركا فيها كل حسب طريقته، فأرسلان التحق بالكفاح المسلح، أمّا حاييم فقد قام بفتح صيدلية أمدّت الثوار بالدواء، كما ساهم في الوقوف ضد المستعمر.

تمثّلت مظاهر الهوّية في الرواية من خلال الأزمات التي تعرض لها الجزائريون من قبل الأخر الفرنسي الذي بدا مصرّا على طمس الهويّة الجزائرية وتجريدها من كلّ مقوّماتها، ولكن الجزائريين دافعوا عن هويتهم بالسلاح، حتى حاييم بالرغم من كونه يهودي منحت له الجنسية الفرنسية، ولكنّه اعتبر الجزائر وطنه، وهويّته، وانتمائه، فقد كان يردّد:" **لا أشعر بأني فرنسي**"[1]، والذي ظل مخلصا لوطنه الجزائر ما سبب له عداوة الفرنسيين.

[1] الحبيب السائح : أنا وحاييم ، ميم للنشر، الجزائر ، ط1 ،2018 ، ص35

الفصل الأول: الآثار الفنية للتّجلي الهوّياتي وتمظهراته الدلالية

1- العنوان والإزداوجية الهوياتية.

1-1- العنوان الرئيسي.

1-2- العناوين الفرعية، ورحلة البحث عن الكائن والممكن.

2-التمظهر الشخوصي بين الاختلاف العقدي والأئتلاف الهوياتي.

2-1-شخصية أرسلان.

2-2-شخصية حاييم.

3-الفضاء المكاني بإعتباره فضاء الاحتواء والإقصاء.

3-1- الأماكن المغلقة.

3-2- الماكن المفتوحة.

1-العنوان والازدواجية الهويّاتيّة:

يعدّ العنوان العتبة الأولى التي تجذب إليها القارئ وتثير فضوله،ومفتاحا أوليّا لولوج عوالمه؛ لأنّه يختزل تيماته، ويجسّد دلالاته، وتتجلّى أهمية العنوان في وظائفه المختلفة، فهو مرجع يتضمن بداخله ترميزا، يحاول الروائي من خلاله أن يثبت مقصد ية فهناك الوظيفة الأيديولوجية، والوظيفة الوصفية والوظيفة الإحالية، وغيرها.وتشتغل هذه الوظائف على تنوير القارئ، وجعله يأخذ إحاطة شاملة عن المحكي، كما تجعله مدرك لخفاياه

يرى الباحث **عبد المالك أشهبون**أنّ العنوان "...**فهو علامة نصية، تسعى إلى كشف عن ملامح المجهول المنتظر "النص"، وتخلق جوا من الألفة، يستأنس بها القارئ قبل أن ينخرط في رحلة استكشاف النص، والتسلسل إلى ردهاته الداخلية** "[1]،وهذا يدلّ على أنّ العنوان هو نقطة تقاطع يمر من خلاله النص إلى العالم، كما أنّه جسر واصل بين النص والكاتب، و هذا يجعله جزء ا منه؛ لما يحملهمن دلالا ت، بالإضافة إلى المغزى العام الذي يطرحه الروائي،فالعنوان هو مولّد فعلي لتشابكات النص وأبعاده الأيديولوجّة يجعل القارئ يتقبّله ويتلذذ بقراءته، وهو بنية لغوية قابلة للتحليل والفهم والتفسير.

[1]عبد المالك أشهبون، العنوان في الرواية العربية، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2011، ص15.

العنوان هو أول ما يقرأ وآخر ما يكتب، فغالبا ما يتم وضع العنوان –حسب الكثير من الروائيين– بعد الانتهاء من الكتابة، وقد يكون العنوان كلمة أو جملة ،كما قد يأتي بطريقة مباشرة ، يحيل مباشرة على مضمون النص، أو غير مباشرة مسيّج بإيحاءات فنيّة وجماليّة وإيديولوجيّة.

تتجلى قيميّة العنوان فيما يثيره من تساؤلات لا نلقى لها إجابة إلا مع انتهاءالقراء، فهو يفتح شهية القارئ للقراءة أكثر، من خلال تراكم علامات التساؤل المعرفي، فيضطر إلى دخول فضاءاته بحثا عن إجابات لتلك التساؤلات بغية إسقاطها على العنوان ، فتزيد التساؤلات المطروحة من القيمية الفنيّة والجمالية للنص الروائي.

1–1: العنوان الرئيسي:

تعدّ رواية **أنا وحاييم**محكيا تاريخيا أعاد الروائي من خلاله طرح بعض القضايا المتعلّقة بالأنا، وقضايا أخرى متعلّقة بالآخر، فهو عبارة عن أنساق مضمرة تفرض على المتلقي من البداية التفكير في أنّ الرواية غايتها إعادة الاعتبار لصورة اليهودي في المخيال الشعبي الجزائري، فعند وضع الأنا الجزائري المسلم مع الآخر اليهودي، يجعلنا نستنتج أنّ الرواية تنسجم مع فكرة التعايش الجديدة التي تتناقض مع فكرة الصدام التاريخي والصراع العقدي، والتي ترى بأنّ اليهودي يشكّل خطرا في مخيال الجزائريين، كما أنّها لفظة ارتبطت دائما بالمكائد وافتعال الشر، لهذا نقول " **خدمة ليهودي**: والناس تتعوّذ بالله عند ذكر هذه، وبذلك يتحوّل العنوان إلى ملفوظ يجمع بين خطاب العداء، المتواري خلف الوعي الجمعي

الجزائري، وخطاب السلام المحمّل داخل الرواية، فقراءة العنوان يتيح خلق مساحة صدامية محتملة بين القارئ والنص.

جاء العنوان على شكل جملة إخبارية تتضمن ضمير المتكلم أنا، وهو الضمير الذي يستخدم في السرود السيرية؛ أي السرد الذاتي مثل السيرة والمذكرات واليوميات ، والضمير (أنا) كمكون لفظي أولي لعنوان رواية **أناوحاييم** نجده يلقي بظلاله على ثلاثة معاني، أناالروائي، وأناالشخصية الساردة، بالإضافة إلى أناالقارئ، فهناك ثلاث شخصيات معنية بهذهالأنا : أحدها الشخصية أرسلا ن(ابن القائد) الذي كان ينتمي إلى النخبة المثقفة ،فهو متخصّص في الفلسفة ، وهنا قصد الروائي أن يميّزه بثقافته وإيديولوجيّته، كما جعله منخرطا في الثورة للدلالة على محاربته للظلم والعنصرية، وعلى حسب ترتيبه في جملة العنوان ، فقد أعطاه سلطة الخطاب ، وبالتالي فإن الاسم الثاني يتبعه، تقول الباحثة الجزائرية آمنة بلعلى: **"من منطلق قراءة للنص، بدا لي أن أرسلان قد رافع من أجل حاييم، حقيقة، وخاصة عندما أوكلت إليه عملية السرد"**[1]، وكذلك (أنا)القارئ الذي يجد نفسه منتميا إليها بمجرد تلقيه للعنوان للوهلة الأولى ، وثالثا أنا الروائي بحيث يجعل القارئ من اللحظة الأولى عند قراءته للعنوان يطرح التساؤلات التالية: هل قصد الروائي – في هذا العمل –نفسه وسيسرد علينا سيرته الذاتية مثلا أو شيء من حياته؟ فمثل هذه التساؤلات تجعل العنوان مثيرا لفضول القارئ، وتبقى أنا السارد أو الراوي مرتبطة بقراءة العمل، ومن ثمة اكتشافها.

[1] آمنة بلعلي، حوار مع الدكتورة آمنة بلعلي، ثقافة، جريدة الخبر، 29 ديسمبر 2020.

جاء في العنوان حرف عطف الواو؛ للمشاركة بين المعطوفحاييم، والمعطوف عليه أنا، وهي تدلّ على مطلق الجمع بينهما، وإذا كانت وظيفته الجمع بينهما فإن ما حدث هنا أنه جمع بين اسمين لا يمكن الجمع بينهما، وفقا لما يتطلّبه العرف الجزائري، ويمكننا القول أن الروائي عمل هنا على تجاوز مفهوم الهويّة النكوصيّةالمغلقة وسط مجتمع يسوده الظلم والعنصرية في ظل الاحتلال الفرنسي للجزائر ،خلال فترة االثورة المسلّحة، وكذا ما بعد الاستقلال، وهكذا استبدل المنطق بمنطق آخر ؛ ليستوعب القارئ هذا المفهوم الجديد ، والرؤية المتغيّرة في الجمع بين الطروحات القبلية والبعدية، كما يبدو واضحا من العنوان أنّ العلاقة بين الاثنين ليست تنافسية أو ضدية بقدر ما هي تكاملية.

جاءتلفظة **حاييم**، وهو اسم علم يهودي **هايم**، وترجمته إلى العربية **حياة**، ولربّما اختاره الروائي لاقترابه من لفظة **حاخام**، والتي تعني رجل الدين اليهودي، كما يعبّر أيضا عن **الأنا المختلف** الذي يكتسب دلالة رمزية تشير إلى ما كان وما يجب أن يكون،بين المرجعية التاريخيّة، وحاضر العلاقات الدوليّة، كما أنّ مهنته صيدليّا يمكن عدّها رمزية وظفها الروائي؛لتصوير أنّ الدواء الذي يقدّم لمريض مسلم ليس بالضرورة أن يأتي من مسلم، وبالتالي الخروج من نمطية الربط بين الإسلام والمساهمة في الثورة، لا يعني أن يكون المجاهد في حرب التحرير مسلما بالضرورة. وبهذا يحملنا الاسم حاييم في العنوان ضمن منظومة اجتماعية و ثقافية و عقائدية ، ما يجعل القارئ الجزائري أمام صدامية مع العنوان، وقد تشغّل هذه المعطيات فضول القارئ، وتغذّي مرجعياته بعديد الأسئلة من مثل: ما هو المضمر من وراء هذا الاسم، بخاصة وأنّلفظة اليهودي تعدّ من الطابوهاتللمسكوت عنه، كمايثيرالعنوان -بشكل عام- الانتباه، ويثير الفضول والتساؤلات: من هو الأنا؟ ثم من هو حاييم؟ و لماذا تمّ وضع

اسم يهودي لصياغة عنوان رواية جزائرية؟ .فوجود اسم يهودي في العنوان دلالة على أن طائفة اليهود طرف مهمّ في هذه الرواية ، وبذلك تكون الأنا للدلالة على طائفة المسلمين في المقابل، وواو العطف والجمع المطلق بينهما هو جمع بين متنافرين.

جاء العنوان بخط كبير تحت صورة الغلاف المتمثّلة في ولدين جالسين أمام باب منزل، فاحتلت لفظة أنا مكان تحت صورة الطفل الذي يمثّل حاييم الفتى اليهودي، واسم حاييم تحت صورة المسلم أرسلان، ممّا يجعل للعنوان بعدا دلاليا هادف إلى تحقيق البعد التشاركي، فعبارة أنا وحاييم هي دليل الترابط والاتصال الجمعي بين الشخصيتين المتخيّلتين على مستوى المحكي، والواقعيتين على المستوى التاريخي، فيقدّم لنا أنموذجا نادرا عن الصداقة القويّة والعميقةالتي جمعت بين أرسلان وحاييم ، كصورة لجسدين داخل روح واحدة، ويتجلّى ذلك بعبارات متكرّرة في الرواية: **كما حاييم**[1]**، مثل حاييم** [2]**، لم يكن حاييم مختلفا عني** [3].

يجسّد العنوان مثالا حياّ لروح المواطنة ، وتجاوزا للحدود الدينية ، و العرقية، والتعصّب الطائفي ، و هو يدفعنا إلى رؤيةٍ جديدة لعلاقة المسلم باليهودي ؛إذ عالجت الرواية موضوع الهويّة الثقافية أمام مجتمع يعاني الظلم، والحرمان في ظل الاستعمار الفرنسي ؛ بهدف غرس روح إنسانية جديدة تتجاوز مجمل الطروحات التي غذّت الصراع العربي الإسرائيلي، وتجسيد فكرة التعايش السلمي والتسامح الديني،

[1] الرواية، ص24.

[2] الرواية،،ص 26.

[3] الرواية،ص38.

بالتحرّر من الانغلاق الفكري ، وتشكيل الوعي الإنساني ، والانفتاح الثقافي بتغييرالفكر السائد ، والدعوة إلى الانفتاح والتجديد، وتطليق أوهام الهويّة النكوصيّة.

يقول الروائي واسيني الأعرج في هذا السياق :"**ربما تلقي كلمة صديق عنوانا لهذه الرواية الكبيرة، فقد قادنا الحبيب السائح من بداية حتى النهاية داخل دهاليز هذه الصداقة العابرة للأديان التي عاشت اللحظات الجميلة: وخسران الجزائر موعدها مع التعددية والسلام والتسامح ،وقبول المتخلّف بعد الاستقلال**" [1]، وفي الأخير يبقى العنوان مفتوحا على ثلاث دلالات يشير إليها هذا الجمع بين الديانتين، الأولى أن يكون الجمع للتأكيد على العداء الديني والتاريخي بين الطائفة المسلمة من الجزائريين في تلك الفترةوفئة اليهود، وطبيعة هذا الصراع في الجزائر، والثانية أنه جمع للتآخي بينهما في رحاب الإنسانية بغض النظر عن المرجعيّات العقديّة، وأمّا الدلالة الثالثة التي يشي بها العنوان ، فهي إمكانية التطرّق إلى موضوع حوار الأديان، فالروائي كان ذكيا في اختيار عنوانه ؛ ليترك علامات استفهام بخصوص جدلية العربي واليهودي، أو ليفتح المجال واسعا أمام الروائيين ليكتبوا في هذا الطرح، فالطرح الثالث يمكن عدّه جسّ نبض المجتمع الجزائري بمختلف أطيافه لإبراز موقفه من قضيّة الأقدام السوداء، ونزعة النوستالجيا عندهم اتجاه الأرض. .

[1] واسيني الأعرج،:حاييم أو سيرة اليهودي الطيب، القدس العربي،18ديسمبر 2018 www.alquds.co.uk.

1-2-العناوين الفرعية، ورحلة البحث عن الكائن والممكن:

تعدّ العناوين الفرعية بمثابة متمّمات دلاليّة للعنوان الرئيسي، ومرايا عاكسة له، يقول الدكتور خالد حسين موضّحا العلاقة الوظيفيّة بين العنوان الرئيسي والفرعي :**"تبرز بين العنوان الرئيسي والعنوان الفرعي علاقة ترادفية وتفسيرية، فالغموض الذي يسيم العنوان الرئيسي، تنخفض وتيرته قليلا بالعنوان الفرعي"** [1]، فلكل عنوان علاقة قصدية بموضوعه، وكل العناوين الفرعية تصبّ في العنوان الرئيسي، وتأتي لتوضّحه وتفسّر مضامينه، فمن وظائف العناوين الفرعية نذكر:

- الوظيفة الوصفية الرئيسة:هي التي تربط بين العناوين الداخلية ومحتواها.

- الوظيفة الشارحة: تحقق العلاقة بين العناوين الرئيسية والفرعية.

جاءت العناوين الفرعية في رواية أنا وحاييم مجسّدة في ثمانيّة فصول وهي:

1-2-1- 1944من سعيدة إلى المعسكر:

يطرح هذا العنوان الفرعي مجموعة من التساؤلات التي لا يمكن فكّ شفراتها إلاّ بالغوص في تفاصيلها، الظاهر في هيئته أنه يصف رحلة من مكان إلى مكان آخر سنة 1944، وعند الانتهاء من قراءة هذا الفصل يتضح أنّ أرسلان يتحدّث في كل مرّة عن نشأته هو وصديقه حاييم في منطقة سعيدة، ودراسته فيمعسكر، فسعيدة عدّت في الرواية محطّة عبور نحو التاريخ لاستحضار المحكي بكلّ تمفصلاته**"انتقلنا إلى ثانوية مدينة معسكر البعيدة ..... فمدينة سعيدة، بوابة الصحراء كما**

[1] خالد حسين حسين، في نظرية العنوان مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية، دار التكوين،دب، دط، دس، ص 378.

تسمى، لم يكن متاحا فيها خلال تلك السنين تعليم إكمالي وثانوي" [1] ،كما تحدث عن الظلم والقمع والتهميش والعنصرية التي عاشها من طرف الفرنسيين، وإحساسه بالغربة والحنين إلى مسقط رأسهيقول:"**كان لا ينظر إلى تلاميذ الأهالي،على قلتهم في الفصل النظرة نفسها إلى غيرهم"** [2]، فالراوي قدّم لنا الفضاء المكاني باعتبار فضاء الخرق والتجاوز نحو التيمات المهيمنة، و من خلال هذا الفصل قدّم لنا الراوي وصفالحالة الشعورية التي عاشها حاييم وأرسلان أثناء دراسته ما في الثانوية ، وكيف بدأت صداقتهما وتوطّدت علاقتهما.

1-2-2- ما أبعد الجامعة الجزائر !

جاءالعنوان الفرعي الثانيجملة تعجبية تبدأ بما التعجبيّة، والفعل أبعد، و مفرد تين هما الجامعة الجزائر، وهما اسمان لمكانين مختلفين، فجملة **ما أبعد** يقصد بها المسافة التي يقطعها من سعيدة إلى الجزائر، وهنا نرصد العلاقة الوثيقة بين العنوان والفصل، وفي نفس الوقت تحمل دلالاتا لنوستالجيا كالفراق، والحنين، والشوق، وفي هذا الفصل ينتقل الراوي من الحديث عن سعيدةو معسكروالثانوية، إلى الحديث عن رحلة البطلان أرسلان وحاييم إلى جامعة الجزائ ر" **يوم أول سفر لنا إلى مدينة الجزائر، كانت أجمل تذكار..."** [3]،كما يحاول استحضار مدينة الجزائر الذاكرة الاجتماعيّة والتاريخيّة

[1] الرواية ، ص19.

[2] الرواية، ص23.

[3] الرواية، ص61.

والثقافيّة،"**صور البؤس الأسود ومشاهده التي يظهر عليها الأهالي بين الأقدام السوداء والأوروبيين...**"[1]، وماشهدتها مظاهر التمييز العنصري والعرقي خلال الفترة الكولونياليّة.

1-2-3- 1954 ليلة عيد الأموات الحمراء:

يمثّل العنوان الفرعي الثالث شحنات سالبة من الحزن والظلام التي عاشها الشعب الجزائري، فلفظة ليلة ترمز للظلام والخوف، وكلمة عيد الأموات جملة ساخرة، فلا يوجد للموت عيد، وقد جاءت بهذا الشكل؛ للدلالة على أن المجازر التي كانت ترتكب في حق الجزائريين لم يسبق لها مثيل كما هو عيد الموت،ولفظة حمراء تعبّر عن لون الدم ، ويسبقه في الجملة كلمة "أموات" ليؤكد الراوي أنّ ما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة، وثمن الحرية غالي بأرواح الشهداء، وعام 1954 هو تاريخ مقدّس لدى الجزائريين، فهو يمثّل الثورة ضد الجهل، والأميّة، والقهر، والاستبداد، هو تاريخ لاسترجاع السيادة المسلوبة، والهويّة المغيّبة، وقهر الكولونيالية العالمية المستبدّة.

نستنتج أن هذا العنوان يسرد جرائم العدو بكل وحشيّة، و هذا ما انطبق على مضمون الفصل بحيث أخذت عدّة سردية لتعبّر عن فحوى العنوان نحو :"**ليلة رعب**"[2]، و"**الوضع خطير، قتلى وجرحى في صفوف قوى الأمن والمدنيين**"[3]، و"**سنسحقهم كالذباب** "[4]، ونلمس من خلال محكي العنوان الفرعي

[1] الرواية، ص73.

[2] الرواية، ص125.

[3] الرواية، ص.125

[4] الرواية، ص125.

الثالث أنّ الراوي يفرّق بين دخلاء الجزائر، فلا يجب وضعهم في كفّة واحدة، فمنهم من حارب الفرد الجزائري، في هويّته، ومنهم من ساعده على تخطّي أزماته.

1-2-4- ليلة الثلج في الجبل:

افتتح الروائي العنوان الفرعي الرابع بجملة اسمية، فالعنوان واقعي يلامس حقيقة ما عاشه المجاهدون من مصاعب خلال رحلة استرجاع السيادة،من مبيت في الجبل تحت المطر و الثلج، كما أنّه مرتبط بمضمون الفصل عند صعود أرسلان إلى الجبل؛ للمشاركة في حرب التحرير " **إنكنت التحقت بالجبل،اختيارا لا إكراها، لخوض حرب التحرير لا لصنع البطولة** " [1]، و يوضح المقطع السردي تشبّع أرسلان بقيم الوطنيّة التي أهلته لأن يلعب دورا رائدا في الدفاع عن الوطن ومكتساباته، ولئن كان صعوده مظهرا من مظاهر الشجاعة والتضحيّة، فإنّها تعبّر عن تشّكل لبنات الوعي بالقضيّة الوطنيّة، وعودة تشكّل مهمار الهويّة الجزائريّة.

1-2-5- 1962 نعم لا:

افتتح الروائي فصله برمز تاريخي ألا وهو سنة 1962التي تعدّ سنة استقلال الجزائر، للدلالة على أن الليالي الباردة أوشكت على الانتهاء، وفجر صبح جديد يلوح في الأفق، مع خيارين: نعم أو لا، و هذه حادثة واقعية حدثت في الجزائر مطلع الشهر جويلية ، وهي الاستفتاء التي قامت به فرنسا حول استقلال الجزائر، فلم يكن العنوان تسجيليّا؛ بل ارتبط أيضا بمضمون الفصل يقول :" **نعم أو لا**

[1] الرواية، ص175.

تريد الجزائر أن تصبح مستقلة "[1] ،و بهذا كان العنوان مطابقا لمضمون الفصل ، فقد تحدث الروائي عن استقلال الجزائر، وعودة الجنود من الجبل، وما يلاحظ على العنوان الفرعي الخامس أنّه بنى على أرضية واقعية، ربما أُريد بذلك وضع الأحداث ضمن سياقها التاريخي، للدلالة على تاريخيّة الأقدام السوداء.

1-2-6-كفرحة عابرة:

تموضع حرف الكاف في العنوان الفرعي السادسليقيم علاقة مماثلة بين الوضع الذي عاشه الجزائريين في تلك الفترة،والفرحة العابرةفي الزمان والمكان، فسرعان ما اصطدم الجزائريون بالواقع المليء بالفقر والفوضى و صراع الزعامة، يقول أرسلان: **"عليّ أن أعيد تنظيمها، بعد أن غادرها الموظفون من الأقدام السوداء والأوروبيين غذاة نهاية الحرب."** [2] فقد تعلق العنوان بشعور أرسلان في هذا الفصل.

1-2-7-يوم للخيبة، يوم للرحيل:

ارتبط العنوان الفرعي السابعبجملتين اسميتين، انقسمتا إلى مقطعين، أوله: يوم لخيبة، و ثانيه يوم للرحيل، وكأنّ هناك يأس وتشاؤم يصفان العنوان ، وهذا ما ورد في الفصل بشكل مفصّل يقول

[1] الرواية، ص213.

[2] الرواية، ص250.

أرسلان: " (...) **واقع مرير وقاس** "[1]، وعلى هذا الأساس يمكن القول أن هذا العنوان قد اختزل ما أورده المضمون مبنى ومعنى.

1-2-8- 1965. بوجع الانكسار والفقد:

نلاحظ من خلال النظرة الأولى للعنوان أنّه يحمل في طيّاته مرارة الوجع والموت، فقد جاء كان الفصل الأخير مأساويّا على لسان أرسلان بموت أعز أصدقائه حاييم،" **يا لحياتنا ما أقصرها في هذا الزمن اللانهائي**"، وهكذا انتهى هذا الفصل ، بنهاية مشوار الصداقة بين أرسلان وحاييم اللذ ين مثلا رمزا للصداقة والوفاء، رغم الاختلاف العقدي والتباين الثقافي.

2-التمظهر الشخوصي بين الاختلاف العقدي والائتلاف الهويّاتي:

تطرّق الروائي في هذه الرواية إلى قضايا يمكن وسمها بالإنسانيّة، وقد استحضر صورا ورموزا معبّرة عن الخصوصيّة الثقافيّة، وقد تجلّت في عمومها بشكل علني وآخر مُضمر، كما انفتح فيها على التاريخ والثورة والعشرية السوداء، فكانت الصداقة المتينة بين الشخصيتين الرئيسيتين أرسلان – حاييم ، هي بؤرة العمل الروائي ؛ إذ طرح الراوي مواضيع حساسة وتُعدّ من المحرّمات، وتعدّدت الدراسات حولها عند كثير من النقاد كلونيس بن علي، وآمنة بلعلى، وفهيم شيباني عبد القادر وغيرهم، لكونها طرحت قضيّة اليهود، والثورة، والعنصرية، وكل ما يشكّل حساسية لدى الجزائريين .

[1] الرواية، ص287.

كان للشخوص الحكائية دور مهمّ في سير الأحداث، لذا وجب الإشارة إلى الشخصيات البطلة والفاعلة باعتبارها محور الرواية، فالشخصية ركن أساسي في بناء معمارية المحكي، وعنصر مؤثّر مرتبط بالزمن، والمكان، والأحداث، وقد وُجدت تعريفات عديدة لمصطلح الشخصية بتعدد المجالات ومحاور الدراسة ، فقد عرّفها الباحث **مُحَمَّد بوعزة**•في قوله:" **كائن حي خيالي ،تبنى من خلال جمل تتلفظ بها هي أو يتلفظ بها عنها** " [1]؛ أي أنّها عنصر أساسي لها علاقة بكل أحداث الرواية ، وبدونها يفقدالمحكي طابعه الدرامي والتيمي.

يقول **عبدالملك مرتاض** عن الشخصيّة ودورها الدلالي:" **لا يمكن أن تتصور رواية دون طغيان شخصية مثيرة يقحمها الروائي فيها ، إذ لا يضطرم الصراع العنيف إلا بوجود شخصية أو شخصيات تتصارع فيما بينها داخل العمل السردي** " [2]، وتُعدّ الشخصية ركيزة أساسية في العمل الروائي،فبدونها لا يكون للأحداث وتطوّرها معنى ، وتتفاعل الشخصيّة الحكائية مع بعضها؛ لبناء حدث تخييلي كان أو واقعي ، وبما أنّ عنوان الرواية أنا وحاييم مبني على تصوّر شخوصي قطباه أنا الذي يمثّله أرسلان وحاييم، فوجب أن تكون مقاربتي مبنيّة على هاتين الشخصيّتين الحكائيتين ومدى تقاربهما وتفاعلهما.

•أستاذ السرديات ومناهج النقد الأدبي بجامعة مولاي إسماعيل في المغرب ، ورئيس فرقة البحث في الدراسات السردية والثقافية .

[1] مُحَمَّد بوعزة: تحليل النص السردي،تقنيات ومفاهيم، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010،ص 40 .

[2] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية ،بحث في تقنيات السرد ، عالم المعرفة ، الكويت ، (د، ط) ، 1998 ، ص 76 .

2-1 شخصية أرسلان:

تقع شخصيّة أرسلان في قلب المتن الحكائي، والحاملة للفكرة التي يريد الروائيبلوغها وإبلاغها، ويمثل أرسلان (الأنا) الجزائرية في تعليمه وثقافته ومواجهته للمحتل، فهو لا يقبل العنصرية ولا الإهانة ،وقد حاول موظف الاستقبال عند التحاقه اليوم الأول بالجامعة إهانته بقوله :" **أنت هو أرسلان هنيفي ؟** "[1]،من غير أن ينطق صفة السيد، فردّ عليه أرسلان بنظرة تحدي قائلا " **أنا السيد أرسلان حنيفي** "[2]، وهنا فرض على الآخر إلزامية احترامه ، وهذا مثال بسيط عن كميّة المعاناة والاحتقار الذي يتعرض لها الشعب الجزائري في شتى المجالات، وبشتى الطرق من طرف المحتل الفرنسي .

نجد الروائي -في إشارة إلى أسبقية المسلم على اليهودي (خاصة في العنوان)- ، رفع من قيمة حاييم كإنسان تتعايش معه بدافع الإنسانية ، والسلام الحضاري، والتسامح الديني، ولكنّه وضعه في الدرجة الثانية م قارنة بأرسلان ، ففي الرواية عندما حاول الصديقان دخول مكتب مسيو ويل خفية قال أرسلان : " **تخيلتني هولمز، وحاييم مساعدي واتسون** "[3] ولم يقل العكس .

نجد أنّالراوي صوّر شخصية أرسلان كشخصية مرموقة من عائلة ثريّة، ولم يصوّره كابن شخص عادي؛ بل ابن قايد والذي يعتبره الجزائريون حركي يخدم مصالح فرنسا ضد أبناء وطنه، وهذا شكّل عند أرسلان نوع من الغرور والتعالي، وجاء في الرواية عند سفره أول مرة للجزائر مع حاييم " **حجزنا**

[1] الرواية، ص 66 .

[2] الرواية ، ص 67 .

[3] الرواية، ص35.

في الدرجة الأولى (...) أخذنا مكاننا مثل جنتلمانين" [1]، فلماذا جعل الراوي من الشخصية البطلة غنيّة في فترة كان الشعب الجزائري يُعاني الجهل ، والفقر ، والحرمان ، فالدراسة والوقوف ضد المحتل ليست حكرا على شخص واحد أو المثقف فقط ؛ بل يشارك فيه جميع أطياف المجتمع الجزائري بمختلف توجهاته وإيديولوجيّاته،و التصدي لفرنسا وقمعها واغتصابها لحرمات الوطن هو مسؤوليّة جماعيّة، فلا يهمّ الفقير والميسور، ولا المتعلّم والأمّي، بقدر فرد مشبّع بالوطنيّة.

من التناقضات التي شكّلت محكي الرواية، وأغدقت معها عديد التساؤلات، أنّ أرسلان شخصية مسلمة، والدين الإسلامي دين الطهارة، والعفة، والنقاء، والابتعاد عن المحرّمات، ولكن صورة أرسلان كانت عكس ذلك ، بالرغم من أنّه مثقّف ؟، ومن عائلة مرموقة ؛ إلاّ أنّالراوي جعله أنموذج غارقا في ملذات الدنيا من خمر ونساء، ومثال ذلك خلال رحلتهم ا في القطار في وجود سيدات انجذبوا لهن، وكان أرسلان لا يُضيّع فرصة في استراق النظر بما يشبه المغازلة، وحين عاتب حاييم لكونه لا يجاريه،ردّ بقوله : **"احترق أنت لوحدك في هذه الدنيا وفي الآخرة "** [2]، فالروائي خرج عن المألوف ، وشوّه صورة المسلم من خلال أفعال الشخصية البطلة أرسلان، وهذا تعدي على حرمات الدين الإسلامي، وهو هنا تطرّق لموضوع يع دّ من الثالوث المحرم على الكاتب لا يمكنه المساس به ، ولا تشويهه بأي شكل.

2-2- شخصية حاييم:

[1] الرواية،ص 62 .

[2] الرواية، ص63 .

تعدّ شخصية حاييم الشخصية المحورية الثانية في الرواية، جاءت موازية لشخصية أرسلان ،وهي تمثّلالآخر، و الروائي لم يجعل حضور شخصية حاييم بين صفحات الرواية فقط ؛ بل جعل من اسمه عنوانا بارزا ولافتا للقارئ، ومشكّلا نقطة استفهام، جعله يضع آراء وتكهنات حول المضمون ، وحول ما يحاول الروائي الإشارة إلية بوضع اسم يهودي على غلاف رواية جزائرية .

أشار الباحث**عادل الأسطة** في مقال كتبه حول رواية أنا وحاييم إلى أنّ الحبيب السائح استوحى شخصية حاييم من (سبورتيس) ، وقد ورد في بداية الرواية كإهداء " **إلى ويليام سبورتيس ،مواطني الذي عرفته في جنان الزيتون"** [1]، وفي قوله عن سبورتيس :**"هو يهودي وطني جزائري شيوعي من أسرة فقيرة مناضلة ضد النازية، وأنّه كتب رسالة إلى الرئيس هواري بومدين بعد الانقلاب على الرئيس أحمد بن بلّة ، وظلت هذه الرسالة حبيسة الأدراج ولم يُفرج عنها إلا في عام 2012"**[2]، وهذه الرسالة تحد ث فيها كاتبها عن معاناته ، وسجنه ، ومشاركته في الثورة الجزائرية ، وتحديدا عدم هجرته إلى إسرائيل، وفي قصته تشابه كبير بشخصية حاييم، وموقفه اتجاه فرنسا.

أثار الروائي– بجعله الشخصية البطلة الثانية شخصية يهودية –موجة من الانتقادات حول طبيعتها ودورها في سيرورة الأحداث، فقد جعل صورته مثاليّة جدا، فهو صديق وفيّ ومخلص، وشخص راقي في تفكيره وتعامله مع الأخر، وناجح في دراسته ، وكأنّه بهذا يعيد ترميم صورة اليهودي في المخيال الجمعي الجزائري. ويتداعى السرد لتبيين كميّة الطهارة الروحية التي يتمتّع بها حاييم، زلقد وقع الروائي

[1] الرواية ، ص5 .

[2] عادل الأسطة: أنا وحاييم رواية جزائرية عن يهود الجزائر ، جريدة الأيام الفلسطينية ، 9 ماي 2021 .

في المحظور حين سمح لنفسه بتصوي المسلم(أرسلان)بشكل يجمع بين المدنّس والتزييف، بينما جعل اليهودي مثالا للعفة ، ومرجعا للإخلاص؛ أي أنّه يلمّح إلى ضرورة الاعتراف بوجود يهودعلى قدر كبير من الاحترام، ويجب أن يقابل الاحترام بالاحترام، وهذا شيء دخيل على ثقافة ونفسية القارئ الجزائري،بخاصة كونه عايشالقضية الفلسطينيّة، وما عاناه شعبها من ويلات التهجير القصري، والاضطهاد، لذا ارتبط اليهوديعند الجزائريين بكيان المحتل الذي استحل دماء الفلسطينيين وأعراضهم.

يبالباحث**لونيس بن علي** بأنّ الروائي لم يكتب" **عن صورة اليهودي،بل عن الجزائري الآخر الذي هو جزء من التركيبة البشرية والاجتماعية والثقافية التي تشكّل في تركيبها الهويّة الجزائرية"** [1]، حتىّ أنه(حاييم) وعائلته رفضوا التجنيس الفرنسي لليهود ، ووقفوا ضد المحتل كجزء من الشعب الجزائري، وقد تجاوزت علاقة الصداقة بين أرسلان وحاييم كل الأيديولوجيات والمرجعيات الدينية ، والسياسية؛ ليثبت الروائي–من خلالها – سمة التعايش الإنساني في ظل الاختلاف الديني والعرقي ، وعند سؤال مسيو ويل حاييم قائلا : " **قل لي ، ما طبيعة هذه العلاقة التي تربطك بمسلم غير فرنسي ؟ أنت حاييم بن ميمون مواطن فرنسي أعلى من أرسلان حنيفي درجة ، فكيف تقبل مصاحبة انديجان مثله والحديث إليه بتلك اللهجة كأنه أحد أفراد عائلتك"** [2]، وانتظر ردًّا أو نفيا من حاييم غير أنّه رد عليه ببداهة :" **لا أشعر أنّي فرنسي، وأرسلان مثل أخي** " [3] ، فهو هنا صور الآخر المسالم النبيل

[1]لونيس بن علي: أنا وحاييم' للحبيب السائح ...رواية عن الجزائر المتعدّدة ، مجلة الكترونية (ultra.جزائ)16أكتوبر2019. ultraalgeria.ultrasawt.com

[2]الرواية ،ص 35

[3]الرواية ،ص 35 .

الذي يمثّل نفسه ولا يمثّل الجماعة ، ولكن هذا مُعاكس ومناقض تماما لتعريف اليهودي عند الجزائريين ، فاليهودي التقليدي بالنسبة إليهم مرابي ، وجاسوس،ومحب للمال، والأكثر من ذلك أنّه يمقت العربي، من منطلق أنّه استحوذ على أرضه ودينه، ومحاولة تحسين صورة اليهودي، بخاصةفي فترة ظهرت فيها قضية تطبيع بعض الدول العربية مع إسرائيل على حساب القضيّة الفلسطينيّة، لما تمثله هذه الاتفاقية من دعم للسياسات الإسرائيلية التي تواصل عدوانها على الحقوق الفلسطينية ،وتتمسك بقانون قيام دولة إسرائيل الذي يشكّل حجر الأساس لخطة تهجير الشعب الفلسطيني من أرضه، وهنا عدّتصورة اليهودي -رغم صورة حاييم في الرواية- تهديد للشعب الجزائري ، من منطلق أنّ الأقدام السوداء لا تزال تحنّ للجزائر، وأنّ الجزائر مع فلسطين ظالمة أم مظلومة.

3- الفضاء المكاني باعتباره فضاء الاحتواء والإقصاء:

يحمل المكان دلالات متنوعة وعلاقات مختلفة تربط الإنسان بواقعه المكاني، فيتفاعل كل منهما مع الآخر، لتنشأ العلاقة المزدوجة بينهما، فتكون في اتصال أحيانا وفي انفصال أحيانا أخرى ، ويبقى للمكان حضور متميّز في النص الروائي ؛ لأننا نفهم من خلاله سلوك الفرد ، وموقفه الانفعالي الذي يعبّر من خلاله عن آلامه وآماله،كما يعدّ المكان مكوّنا أساسا في معمارية النص الروائي، ومن دونه لا يمكن تفسير العمل الأدبي، ويعلّل الباحث المصري حسن بحراوي حضور المكان في روايات بلزاك قائلا:"**إنّ الرواية الحديثة،خاصة بالزاك،قد جعلت من المكان عنصرا حكائيا بالمعنى**

الدقيقللكلمة"[1]، يعني أنّ الرواية منذ بالزاك أصبحت تعتمد على المكان كمكوّن فعلي لبناء معمارية النص الروائي.

يكتسب الفضاء أهمية كبيرة داخل النص الروائي ؛ لأنّه يعدّ أحد عناصرها الفنية والجمالية؛ وهو الحيّز الذي تجري فيه الأحداث، وتجد فيه الشخصيات حرية كاملة للتنفيس عن روحها، وقد يتعدّى مفهوم المكان إلى الفضاء عندما يشمل جميع عناصر الرواية ، وهذا إذا كان التعبير عن الحدث الأكبر، يقول الباحث المغربي **حميد لحمداني** :"**الفضاء أشمل، وأوسع من معنى المكان ، والمكان بهذا المعنى هو مكوّن الفضاء...**"[2]،ويرى الناقد أن الفضاء أوسع وأشمل من المكان، في حين أن المكان هو مكون للفضاء، وبالتالي فإن المكان متعلّق فقط بمجال جزئي من مجالات الفضاء الروائي.

وظف السارد في رواية أنا وحاييم أنواعا من الأمكنة من حيث الضيق والسعة، ومن حيث الانفتاح والانغلاق بفنيّة؛ من أجل التأثير على المتلقي، وقد أدّى هذا التد اخل بين الانغلاق والانفتاح إلى تحوّله إلى فضاء رحب ، وسوف نتناول في هذا العنصر أشكال الأم كنة الموجودة في الرواية، وفق الثنائية الضدية: (المغلقة/ المفتوحة).

3-1الأماكن المغلقة:

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص27.

[2] حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 1991، ص 63.

يقول الباحث **مهدي عبيدي**: **"إنّ الحديث عن الأمكنة المغلقة هو الحديث عن المكان الذي حددت مساحته ومكوناته، كغرف البيوت والقصور(...) فقد تكشف عن الألفة والآمان، أو قد تكون مصدر خوف "** [1]، فالمكان المغلق هو مكان العيش والسكن الذي يأوي الإنسان، ويبقى فيه فترات طويلة من الزمن، فهذا المكان محدّد بح يّزيفصله عن الخارج ؛ ممّا يجعله يتّصف بالضيق ، فتكون بذلك حركة الشخصياتالحكائية محدودة، إضافة إلى ما قد يمنحه لها من حماية وحميميّة، وألفة، فيتحوّل المكان إلى فضاء للذاكرة والنوستالجيا والحنين، وقد شغل المكان المغلق في الرواية حيّزا مهمّا، وسنتناول فيها الأمكنة المغلقة الآتية:

3-1-1 فضاء البيت:

يحمل البيت دلالة مزدوجة في الرواية، منها الدلالة الا يجابية، والدلالةالسلبية، وفي هذا السيّاقيرى الفيلسوف الفرنسي**غاستونباشلار**بأنّ البيت يمثّل مراحل متنوّعة في حياة الإنسان، وقد عبّر عن ذلك قائلا:" **تتوارد إلينا ذكريات البيوت التي عشنا فيها من قبل فإننا ننتقل إلى أرض الطفولة غير متحركة، غير المتحركة كالذكريات البالغة القدم"** [2]، و هذا ما استهل به أرسلان حديثه عند بداية الرواية "**تقدمت. وعند الباب الصامت، ذاك الذي رأيت حاييم يخرج منه بمحفظته قبل ثمانية**

[1] مهدي عبيدي : جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، دط، 2011، ص43.

[2] غاستونباشلار، جماليات المكان، تر غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 2، 1984، ص37.

وعشرين عاما..."[1]،فقد استحضر أرسلان ذكرياته للمكان، من خلال وصفه للبيت الذي لم يمنحه الراحة والطمأنينة، وهذا من خلال كلماته التي تحمل معانيالحزن، والتحسّر، والاشتياق لتلك الأيام التي كان يعيشها حاييم وعائلته، فمن خلال وصف أرسلان للبيت، تتجلّى لنا مظاهر الدلالة السلبية للمكان، أمّا الدلالة الإيجابية فتتمثّل في بيت جدّة أرسلان الذيقدّم له وصفا ممزوجا بالنوستالجيا الجميلة والمليئة بمعاني الغبطة، والفرح، والسرور ،"**تلك الأوقات الحميمة التي قضيتها مع جدّتي في بيتها بالدرب، بعد عودتي متوجا بالنجاح، كانت من أمتع ما رسخ في ذاكرتي**" [2]ففنسية أرسلان من خلال زيارته لبيت جدّته لها دلالة ايجابية بحيث وصف لنا كيف مضى معها أجمل ذكرياته، فالذاكرة الهويّاتيّة دائما ما تكون مرتبطة بسياق المكان، ذلك أنّها تمنحنا إحساسا بالانتماء، والارتباط الأسري قد يشكّل لحمة أو لبنة أولى لتشكّل الهوّية عند أرسلان، وما يؤكّد هذا الطرح هو تغيّر طباع أرسلان اتجاه بيت جدّته بعد وفاتها، ففي أوّل زيارة له لبيتها– بعد وفاتها– أحسّ بالقطيعة مع الامتداد الأسري"**لما رجعت إلى الدرب من أربعينية وفاة جدتي** (...)**فقد سبقني الحزن إلى بيتها**" [3]،ولهذا لا يمكن عزل المكان (البيت) عن التطوّر الطبيعي والغريزي للهويّة الذاتيّة التي تتشكّل بالموازاة مع تضخّم وتنامي الفضاء المكاني بالذاكرة، والنوستالجيا، وما يقال عن البيت، يقال أيضا عن الأستوديو، والغرفة، ...إلخ.

3-1-2 المدرسة والثانوية:

[1] الرواية، ص11.

[2] الرواية، ص51.

[3] الرواية، ص136.

لطالما لعبت المدرسة دورا بارزا في تشكّل الوعي والهويّة الأصيلة لدى المتعلّم،ف هي مؤسّسة تعليمية، ونظامية، واجتماعية، وتربوية، هدفها إعداد الجيل القادر على التسلّح بالقيم والفضيلة، للدفاع عن الوطن، والذود عنه، وقد كانت مدرسة **جول فيري** الوجهة الأولى لأرسلان وصديقه حاييم، لبدء مسارهما الدراسي في الطور الابتدائي، يقول أرسلان :" **رأيت حاييم يخرج منه بمحفظته قبل ثمانية و عشرين عاما كي نتوجه معا لأول مرة إلى مدرسة جول فيري**" [1]، والتي اعتبرت بالنسبة لهما أجمل أيامهما، كما حملت معظم ذكريات طفولتهم ا الحافلة بمغامرتهما **"أنّنا رددنا إغراءاته إيانا بما كان يحمله في جيوبه من حلوى وشوكولا لمساعدته على حل واجباته حينا ،وفي إنجاز تمارينه أحيانا، عند باب المدرسة قبل الدخول وعند الخروج** " [2]، سنلاحظ أنّ السارد ركّز على تقنية الذاكرة؛ ليستعيد أرسلان تفاصيل حياته القبلية عندما كان تلميذا في المدرسة رفقة صديقه حاييم؛ والغرض من وراء ذلك هو التأكيد على قيميّة الماضي في بناء الحاضر، فبناء تصوّر عملي ومنهجي للهويّة لا يكون إلاّ من خلال تقديم تصوّرات عن الطروحات القبلية التي من شأنها أن تغذّي قيمنا ومبادئنا، وبدرجة كبيرة هويّتنا، فمدرسة **جول فيري**في الحقيقة هي الذاكرة التعليميّة التي حاول أرسلان من خلالها بناء تصوّر عن العلاقات البسيطة التي تشّكل جوهر هويّتنا، كالصداقة، والتسامح، والمساعدة، والإيثار، ولا يمكنك العثور على هذه القيم، إلاّ بالعودة إلى المرجعية الدينيّة، وهنا تتعاضد وتتكاتف الكتب السماوية في نشر المبادئ السمحة.

[1] الرواية، ص11.

[2] الرواية، ص17.

تعتبر الثانوية من الأماكن التي تركت أثرا في حياة أرسلان،فقد وصفها في أول زيارة لها وصفا هندسيا يعبّر عن التجاذبية بينهما ،" **فرافقنا حتى باب الثانوية التي ما إن دخلناها حتى ملأت بصري فخامة بنياتها التي في شكل مستطيل مفتوح من أحد عرضيه (...)و أدهشني ما بداخلها، من ساحة بأشجارها الموزعة عبرها بتناسق، إلى مرافق المعينة بلافتات في أعلى الأبواب: الإدارة، الحراسة العامة، قاعة الأساتذة"**[1]، فوصف أرسلان للثانوية التي تقع في ولاية المعسكر كان تصوّرا عن الحيّز الذي سيشغله لتلقي المعرفة، كما كانت للجامعة رائحة ولون مميّزان جعلاه يتذكّرها كلما عاد إليها "**حتى إذا رجعت إلى الثانوية مع حاييم(...) شعرت إني أعود إلى مكان مألوف أعرف زواياه ورائحته وألوانه**" [2]، يعدّ وصف أرسلان للثانوية تطوّر طبيعي لفهم وتفسير قيمية الأماكن ، وقد لاحظنا أنّ هذا التصوّر بدأ من خلال بيت الجدّة ثمّ تطوّر مع دخوله المدرسة، وازداد تطوّرا عند ارتياده الثانوية، وهو تصوّر تمهيدي لبناء وعي أرسلان بالأحداث، وكل ما يحيط به لاحقا.

3-1-3- الجامعة:

تعدّ الجامعة المؤسسة التعليمية المكرّسة للبحث العلمي الذي يتميّز بالتجدّد والاستمرارية ، وقد ورد ذكرها في الرواية، من خلال ارتباطها بأرسلان وحاييم، فهي بوابتهمانحو مرحلة جديدة في الحياة، فالجامعة في تلك الفترة كانت حلم كل جزائري، والوصول إليها كان بمثابة الوصول إلى قمّة الوعي،وقد كان أرسلان من الطلبة الذين ساعفهم الحظ لدخولها، فاختار تخصّص الفلسفة ،أمّا حاييم فاختار

[1] الرواية،ص20.

[2] الرواية، ص27.

تخصّص الصيدلة، يقول أرسلان: " **كانت أجمل تذكار وأعذبه وأشده إثارة، ليس ذلك لأنّنا سنلتحق بالجامعة، وهو حظ استثنائي بالنسبة إلينا** " [1]، ويقول أيضا مخاطبا حاييم: " **"أمّا أنت فحققت أحد حلميك. فبعد ست سنين ستصبح صيدليا** " [2] ،والجامعة في الرواية فضاء الانفتاح على الحياة بمختلف تصوّراتها وأيديولوجيّاتها، حتى أنها أتيحت لأرسلان وغيره الكثيرين من الأهالي فرصة الانخراط في جمعية أساسها الكفاح ، والنضال ، والتحالف بين الطلبة والأساتذة ضد الاستعمار"**ساقنا حديثنا إلى ما تتيحه الجامعة من انعتاق وانفتاح، بما تخلق من طموح وتنمية من علاقات"**[3] ، وبذلك شكّلت الجامعة فضاءً إيديولوجيّا أتاح لأرسلان فرصة التعرف على الثورة عن قرب، ويمثّل وصول أرسلان إلى الجامعة مرحلة متقدّمة من مراحل تشكّل الهوّية الأصيلة، كونه انطلق من تحديد المظاهر الحسيّة للأشياء، إلى تحديد قيمها المعنويّة، فالتعاون خلال المرحلة الابتدائية والثانوية يعدّ مظهرا حسيّا عند أرسلان؛ لأنّه يعبّر عن ذلك التماثل الوظيفي بينه وبين حاييم،أمّا التعاون في الجامعة فيمثّل ذلك الوعي المرتبط بقيم النضال والتضحية من أجل الوطن.

3-2-الأماكن المفتوحة:

يرى الباحث مهدي عبيدي أنّ"**المكان المفتوح عكس المكان المغلق** (...)**إنّ الحديث عن الأمكنة المفتوحة، هو حديث عن أماكن ذات مساحات هائلة توحي بالمجهول كالبحر، والنهر، أو توحي**

[1] الرواية، ص61.

[2] الرواية، ص69.

[3] الرواية، ص70.

بالسلبية كالمدينة أو هو الحديث عن مساحات متوسطة كالحي، حيث توحي بالألفة والمحبة" [1] ،

فالمكان المفتوح حيّز رحب، فهو يشكل فضاء واسعا تجعل الشخصية الحكائية قادرة على التحرّك فيه، فهو فضاء حركي، ما يجعلها(الشخصية الحكائية) مشبّعة با لطمأنينة، والألفة، ونجد أنّ الأمكنة المفتوحة في رواية أنا وحاييم تتوزّع بينالمدينة، والجبل.

3-2-1- المدينة:

عرّف**مهدي عبيدي**المدينة بأنّها"**مسكن الإنسان الطبيعي، أوجدها الناس لتكون في خدمتهم وعلى مستواهم، أوجدوها لتساعدهم في العيش وتطمئنهم وتحميهم** "[2]، وتعدّ المدينة مكانا مفتوحا ومنفتحا على العديد من الأحداث كونه فضاءً حركّيا-كما أسلفنا سابقا- ، وقد لعب فضاء المدينة دورا مهمّا في الرواية، ويتجلّى ذلك في عدد المدن التي قاما أرسلان وحاييم بزيارتها ، والتي تتمثّل في سعيدة، ومعسكر، والجزائر العاصمة، وكان لكل مدينة أثر في حياتهما ؛ نظرا لما عاشاه من ذكريات فيها، **فسعيدة**وهي مدينة جزائرية تقع في الشمال الغربي للجزائر ، وتمثّل البيت، والنشأة، والأصل بالنسبة لأرسلان وحاييم ، فهي ترسم ملامح الهويّة المكانيّة عندهما،استطاعت أنت جمعذكريات طفولتهما، فكانت رمزا ايجابيا بالنسبة لهما على الرغم من عدم توفر ها على مؤسّسات تربوية يقول أرسلان:"**فمدينة سعيدة بوابة الصحراء كما تسمى، لم يكن متاحا فيها خلال تلك السنين تعليم**

[1] مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه،مرجع سابق، ص63.

[2] المرجعالسابق، ص97

إكمالي والثانوي"[1]،ورغم ذلك اعتبرت مكانهما الآمن الذي يعودان إليه في كل عطلة صيفية؛ ليجدّدا شعورهمابالانتماء،"**من حلول العطلة الصيفية، كنا قد عدنا إلى مدينتنا (...)فقضينا، مطمئنين، أسبوعا في الأكل التقليدي والنوم"** [2]، وقد تجسّد مفهوم الانتماء عند أرسلان من خلال ارتباطه الوثيق بعادات هذه المدينة وتقاليدها مثل:الأكل التقليدي، واللباس، فكانت سعيدة هي بؤرة الأمان، والاستقرار، والانتماء.

رغم كل الطمأنينة التي خلّفتها مدينة سعيدة في قلبي أرسلان وحاييم، إلاّ أنّ الحرب لم تترك مكانا إلاّ دمرته ماديّا ، ونفسيّا ، فقد اشتغلت الحروب على نشر الخوف، والقلق ،والضياع. وطمس الهويّة المكانية.

أمّا مدينة **معسكر**فتسمّى ولاية الأمير عبد القادر، وكانت الوجهة الأولى التي قصدها أرسلان، وفي ذلك ترميز لعلاقة الفرد الجزائري بتاريخه، أو ما يطلق عليها بالهويّة التاريخيّة،ف بطلا الرواية أرسلان وحاييم قصداها؛ بغية إكمال مشوارهما الدراسي بالثانوية، فكانت تجربة مثيرة لهما"**أنيّ ركبت بمفردي، مثل بالغ، الحافلة من محطة الدرب للمسافرين، جنبا إلى جنب مع حاييم، راضيين عن أنفسنا في عنادنا "** [3]، ويقول أرسلان واصفا جوّها: "**وعلى غير دأب بدايات الصيف، في مدينة ذات مناخ**

[1] الرواية، ص19.

[2] الرواية، ص36.

[3] الرواية، ص20.

السهبي، وجد أنّ الجو أكثر حرارة وجفافا وثقلا" [1] .كما أظهرت هذه المدينة بوضوح انقسام الحاد بين الفرنسيين و الأقدام سوداء، والأهالي، فانتشرت العنصرية بشكل كبير ممّا جعل الأهالي يتمنون مغادرتها، ولعلّ مدينة الأمير عبد القادر الجزائري، وبسبب رمزيتها التاريخية، جعلت الفرنسيين يقومون بتدنيسها، كشفرات دالّة على تدنيس المقدّس، وطمس أبي الهويّة الجزائريّة.

تمثّل الجزائر العاصمة منبع تشكّل ملامح الوعي الثوري عند أرسلان، ف بعد نجاح أرسلان وحاييم في شهادة البكالوريا، كانت العاصمة وجهتهماللالتحاق بالجامعة، فقد ا ختار أرسلان تخصّص فلسفة بينما اختار حاييم تخصّص الصيدلة، وكانت رحلتهم ا من سعيدة إلى ا لجزائر ذكرى جميلة خلال مشوراهما، و فترة استثنائية؛ حيث يقول أرسلان: **"يومأول سفر لنا إلى مدينة الجائر، كانت أجمل تذكار وأعذبه أشده إثارة"** [2]، وجدها أرسلانأجمل الم دن، فأعجب ببناياتها ،وشوارعها، فحضور المكان(العاصمة) عند أرسلان جعله يتأرجح بين الكائن والممكن، بين الجزائر المستقلّة، والجزائر المستعمرة، وسيكون تأرجح الوعي بين الطرفين سببا في صعوده إلى الجبل.

3-2-2- الجبل:

يشكّل الجبل بمعناه الثوري فضاءً للكفاح والنضال ضد كل أشكال الكولونيالية ، وفي الرواية نجد أنّ أرسلان قد التحق بالجبل بعد تخرّجه من الجامعة؛ ليعبّر عن وعي جديد بمستقبل الجزائر، ورؤية مناوئة للاستعمار العالمي"**إن كنت التحقت بالجبل، اختيارا لا إكراها ، لخوض حرب التحرير لا**

[1] الرواية، ص214.

[2] الرواية، ص61.

لصنعالبطولة " [1]، فكان شعور ورغبة أرسلان في القضاء على ظلم المستعمر والعنصرية التي خلّفها، هي السبب وراء التحاقه بالجبل وليس لصنع البطولة،- وكما قلنا سابقا- فالمكتسبات القبلية عند أرسلان مهّدت له بناء تصوّر عن مفهوم الهويّة الوطنيّة بمختلف عناصرها ومشاربها، فهي لا تتشكّل دفعة واحدة؛ بل تتأتّى من خلال انصهار العناصر الذاتية، والتاريخية، والمكانية، والسوسيوثقافيّة داخل الأنا؛ لتنطلق في شكل أقوال، وسلوكات، وممارسات دالّة عن الهويّة الوطنيّة الأصيلة.

[1] الرواية، ص175.

الفصل الثاني: تمثلات الهوّية وتجلياتها الخطابية.

1- التعايش الحضاري، وتمثلات الأنا والآخر.

1-1 تعريف الأنا.

1-2 تعريف الآخر.

2- المضمر والمسكوت عنه.

2-1- الأقدام السوداء باعتبارها إرثا كولونياليّا.

3- تمثلات الهوّية وتجلياتها الثقافية .

3- 1 اللغة .

3-2 الدين.

3-3 العادات والتقاليد.

1- التعايش الحضاري، وتمثّلات الأنا والآخر :

عندما نتحدّث عن التعايش الحضاري نجد أن الروائي ومن خلال هاته الرواية رسم لنا أسمى صورة و وجه رسالة إنسانية سامية لفكرة قبول الآخر، في ظلالاختلافالعرقيوالديني ،يقول سبحانه وتعالى:{**يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾**} [1]، والحبيب السائح شكل من خلال سرده صورة فريدة من نوعها تخطت كل مظاهر العنصرية .

منذ صدور رواية أنا وحاييم شابها الكثير من الجدل النقدي ، بتباين ردود الأفعال حولها؛ لأنّها تمثّل عيّنة من الروايات التي عالجت علاقة الأنا بالآخر، من زاوية مختلفة عما تمّ تناوله سابقا، فهي تؤسّس لرؤية جديدة" **قوامها التمرّد على ثقافة التعصّب الديني ، وصناعة التواصل الإنساني عبر تقبّل التنوّع العرقي الذي يتشكّل منه المجتمع الجزائري** ".[2]، وقبل التطرّق أكثر للحديث عن التعايش الحضاري بين الأنا والآخر،وجب التعريف بهذه المصطلحات التي تمثّل الكلمات المفتاحية:

[1] القرآن الكريم ، سورة الحجرات ، الآية 13 .

[2] نور الهدى غرابة ،سليم كرام ، مجلة إشكالات في اللغة والأدب ،جامعة تامنغست ، الجزائر ، مج 10 ، عدد 1 ، 2021 ، ص 231 .

1 -1 تعريف الأنا:

اتّجه الباحث عباس محمود الحداد في تعريفه للأنا إلى ربطها بالذات ومستويات الإدراك قائلا : " **يعكس مفهوم الأنا رؤية الذات ومعرفتها وإدراكها** " [1]، وقال أيضا : " **المتكلم نفسه وهو القائل باعتبار وعيه لقوله ولمقاله بالذات، فالأنا ما تقوله لغيرها ، ومن هنا تبرز الأنا كعنوان أعلى ، وكمركب علائقي يتمحور فيه الأنا والآخر والموضوع كمنظومة للأنا فلسفيا** " [2]، ويعتبر وجود الأنا مهمّا جدًا ؛ لأنّ وجوده يعني وجود الآخر ،وبانتفائه ينتفى الآخر ؛ إذن هذا يشكّل علاقة تكاملية بينهما.

1-2- تعريفالآخر:

أشار الباحث فاضل أحمد العقود أنّ الآخر هو :" **الغير سواء أكان الخصم الذي اصطدم مع الذات و تمرد عليها أم كان صديقا تعاطف معها وانجذب نحوها، وبادلها حبا بحب، فإنه في كلتا الحالتين لا يستطيع (الأنا)العيش بدون الآخر** " [3]، وهنا يشير إلى أنّ وجود الأنا يعني حتمية وجود الآخر ،وأنّ كل تعريف يطلق على الأنا يُطلق على الآخر أيضا.

---

[1] عباسيوسفالحداد،الأنافيالشعرالصوفيابنالفارضأنموذجا،دارالحوارللنشروالتوزيع،سوريا،ط2 ، 2009 ،ص 189 .

[2] الأنا في الشعر الصوفي ابن الفارض أنموذجا ،مرجع سابق ،ص 190 .

[3] فاضل أحمد العقود ،جدلية الذات والآخر في الشعر الأموي (دراسة نصية)،دار غيداء للنشر والتوزيع ، ط 1 ، 2012 ، ص 33 .

يرى الباحث عمر عبد العلي علام أنّ" **الآخر هو عبارة عن مركب من صفات وخصائص النفس البشرية والاجتماعية والسلوكية والفكرية ،ينسبها فرد ما إلى الآخرين ، وكل تعريف يُطلق على الأنا من شأنه أن يطلق على الآخر أيضا، أي في حالة أن تكون الأنا ترتبط بعلاقة اختلاف – سواء في الجنس أو الفكر أو الانتماء – مع أنا أخرى ، تكون الأخيرة هي الآخر** "[1]، وهنا تحدث أن الأنا تختلف عن أنا أخرى في الجنس والفكر والانتماء بحيث تصبح هذه الأنا آخر في نفس الوقت.

في سياق الحديث عن الرواية نجد أنّ ال روائي وجّه رسالة من خلال علاقة الصداقة بين الشخصيّتين الحكائيّتين، **أرسلان** المسلم الجزائري و **حاييم** اليهودي، علاقة متينة ولدت خلال الحرب المؤلمة وفي ظل الاحتلال الفرنسي للجزائر، هـ ذه العلاقة والتي من خلالها رسم لنا الروائي وعلى لسان الراوي كل صور الاستعمار والدمار وكل مظاهر العنصرية وصور التمسك بالهويّة رغم أجواء المعاناة والألم، ويمثّل أرسلان (الأنا) في الرواية أو الذات الجزائرية ، وفي الحديث عن التعايش الحضاري يتبّين أنّ (الآخر) هو حاييم، وحاييم يهودي متجنّس ، ولكنّه لا يمثّل كل اليهوديين ولا كل الفرنسيين المجنسين، فحاييم جسّد مثال الصداقة الحقيقية ، والاعتراف بصدق المشاعر، وقد كان وعائلته من الرافضين للاحتلال الفرنسي للجزائر، فعائلته محافظة ومندمجة مع الجزائريين إلى حد شعورها بالوطنية ، يقول حاييم :" **وليس هذا فقط ، فجذورنا من هذه الأرض** "[2]، والروائي كذلك حاول جاهدا

[1] عمر عبد العلي علام ، الأنا والآخر الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر ، دار العلوم للنشر والتوزيع ، القاهرة ،مصر، ط1 ، 2005 ، ص17 .

[2] الرواية، ص 100.

إثبات أن الطائفة التي ينتمي إليها حاييم لا تختلف في العادات والتقاليد عن الثقافة الجزائرية ، ولا شيء يشير إلى اختلاف هويّاتي .

يحكي الراوي –في شكل استرجاع للذكريات –عن هذه الصداقة والأخوة ،ويروي أحاسيسه وكذا أحاسيس حاييم، فعلاقتهما لم تينة تعرضت لمختلف أنواع العنصرية من الأقدام السوداء والأوروبيين،بحجة مصادقة مسلم ليهودي، سأل مسيو ويل حاييم :" **ولكم قل لي، ما طبيعة هذه العلاقة التي تربطك بمسلم غير فرنسي !أنت حاييم بن ميمون مواطن فرنسي أعلى من أرسلان حنيفي درجة ! فكيف تقبل مصاحبة أنديجان مثله والحديث إليه بتلك اللهجة كأنه أحد أفراد عائلتك** "[1]، وهنا نجد أنّ حاييم تعرض للكثير من الانتقادات حول مصاحبة من هو أقل منه درجة، ولكن علاقتهما كانت خالية من أي إيديولوجياتسياسية ، أو دينية ،أو عرقية، فقد تجاوزت كل العقبات لتجسيد صورة قبول الآخر ، رغم الاختلاف والتعامل بإنسانية. وكان أرسلان يُبادل حاييم نفس المشاعر الأخوية الصادقة،وقدّم حاييم لحسيبة بقوله :" **صديقي ورفيق دربي وابن بلدتي حاييم بنميمون**"[2] .

رغم أنّ حاييم شخصية طيّبة ومسالمة ومساندة للقضية الجزائرية، إلاّ أنّه بقى مرفوض شعبيا؛ لكونه يهوديّا،فاليهود ساعدوا فرنسا على احتلال الجزائر،ودمّروا واغتصبوا الأرض الفلسطينية.

[1] الرواية، ص 35.

[2] الرواية، ص 96.

لم تغيّر صورة حاييم نظرة الجزائريين لليهود أبدا، فهذا الأخير مثال عن المكر والخبث و جب المال والغدر، ولذا بعد الاستقلال وفي محاولة لبناء هويّة جديدة ، حاولوا طرد حاييم من الجزائر لتنظيف الوطن من كل الشوائب.

انسجام حاييم وعائلته بين أبناء الوطن شكّل نوع ا من الانتماء وشعور بالأخوة، وتمثل ذلك حتى في اللغة المستعلمة، فنجد أن حاييم يستعمل أحيانا كلمات من اللغة العامية الجزائرية، ففي صراع نشب بين أرسلان وأحد الطلبة في كافيتيريا الجامعة والذي كاد أن يتطور ليصبح صراع بالأيدي لولا تدخل حاييم بقوله ك" **خليك منو!**"[1]، وعندما تعرّف على حسيبة والتي كانت متشوقة للقائه ،رد عليها: "**وهانا تلاقينا !**"[2]، والمعروف أن اليهود خلال فترة الفرنسي كانوا يتكلّمون لهجة هجينة بين العبرية والعامية، ولكنهم حاولوا تدنيسها بزيادة كلمات يهودية على القاموس الجزائري والمساس بالدين الإسلامي. لذا فالروائي تعاطف مع هـ ذه الفئة التي تمتلك تاريخ أسود ا في الجزائر، فاليهود وعند طردهم من شبه الجزيرة الإيبيرية استوطنوا شمال أفريقيا، فقابلوا احتضان الجزائر لهم وفكرة التعايش بين الجنسين بالخيانة، والوقوف مع المستعمر عند احتلاله للجزائر. وجريمة الخيانة لا تُغتفر عند شعب يعتز بهويّته، وقيمه، وأرضه،لذلك فإنّ تلميع صورة اليهود غير لائق ، وصفة الطهارة والنقاء بعيدة كل البعدعنهم.

[1] الرواية، ص 80.

[2] الرواية، ص 99.

حاول الروائي الدفاع عن حقوق اليهود من باب الإ نسانية، ولكن هذا يحيلنا إلى إعادة إحياء الوجود اليهودي في الجزائر، لذا فبطرحه فكرة التعايش السلمي مع اليهود تجاوز كل المعايير الدينية والسياسية،وشكّل قضيّة رأي عام تعرض من خلالها للنقد والمساءلة ، فموضوع اليهود يع دّ نقطة حسّاسة في تاريخ كل جزائري عايش فترة الاحتلال الفرنسي.

2- المضمر والمسكوت عنه:

نالت رواية أنا وحاييم نصيبها من النقد والمساءلة، فمنذ صدورها سنة 2018 أحدثت ضجّة إعلامية على مواقع التواصل الاجتماعي،و يعود ذلك للموضوعات التي تناولتها تع دّ من الطابوهات الممنوعة عند المجتمع الجزائري؛ للوصول إلى رؤى جديدة يمكن أن نقول أنّ أساسها التمرّد على الثقافة السائدة والتعصّب الديني، ومن الأمور المسكوت عنها في الرواية هي تمرّد الروائي عن المجتمع بكتابته عن اليهودي، ولم يكتف السارد بذلك؛ بل رسمه بصورة ايجابية ، وجعله البطل الثاني لروايته مع المسلم أرسلان، ومن تمظهرات المضمر في الرواية:

- **على مستوى العنوان:** من خلال عنوانها، وطريقة رسم الحروف العربية للعنوان التي تُماثل الحروف العبرية في الشكل ، كما اختار أن يلوّنه باللّون الأحمر الداكن، بحيث يمكن اعتباره يحيل إلى الدّم، ولم يكتف بتغيير الحروف العربية فقط، بّل مّس هذا التغيير أيضا نقاط الحروف، في الاسم حاييم، بوضع النقطتين فوق بعضهما بدل النقاط المتعارف عليها في اللغة العربية، يشبهان إلى حد كبير قطرتين من

الدّم، وهذا ما يحيلنا إلى أن اللون الأحمر في العنوان يدلّ على المحيط المليء بالدم، والنقطتين يعبّران عن دم أرسلان وحاييم.

-**على مستوى الرواية:** ارتبط تأويل ما جاء في العنوان ، وتطابق مع محتوى الرواية، فكما ربط العنوان أرسلان بحاييم، ارتبطا في واقع الرواية وكانا صديق ين، خ اضا في فترة من فترات الرواية حربا دمويّة؛ للحفاظ على الوطن الجزائر، فتجاورهما على مستوى العنوان، قابله تجاور على مستوى المحكي.

-على مستوى الغلاف: جاء الغلاف مزيجامن اللونين الأحمر والأصفر المائل للأبيض، وهو مزيجمن الطمأنينة والسكينة، وبين اللون الأحمر الذي يدلّ على الحرب والدم والعنف،وربما جاء لون الغلاف بهذه الصورة؛للدلالة على مآزق التاريخ القبليّة ومخلّفاته البعدية،وتسليط الضوء على القضايا المتعارف عليه اداخل المجتمعات المغاربية ومنها الجزائر، وقضايا المسكوت عنه التي لا تزال تصنع الجدل إعلاميّا وجماهيريّا،ويتوسّط الغلاف صورة بالأبيض والأسود التي تحيل إلى الزمن الثوري وعند قراءة الرواية تتشكّل لنا دلالة جديدة بحيث نجد قلب كامل لموازين المنطق الجزائري و التاريخ أيضا، عندما أقدمالروائي على تجميل صورة القائد المعروف عبر التاريخ الثوري بكونه على حركيّ وخائن للوطن، فجعل ابن القائد أرسلان يتمتعّ بكامل حقوقه التي كانت مسلوبة من أغلبية شباب الجزائر ، وجعله ثوريا ومجاهدا في الجبل أيضا،كما جعل منه بطلا رغم السمعة السيئة التاريخيّة للقائد وابن القائد.

-**على مستوى الإهداء** : يمثّل الإهداء عنصرا عتباتيّا عضّد به الروائي جانب المسكوت عنه؛ إذ يقول: "**إلى وليام سبورتيس William sportisse واطني الذي عرفته في: جنان الزيتون**

Le camp des oliviers"[1]، ومن الطبيعي أن يقدّم الإهداء لأشخاص يعرفهم ال روائي، ويقدّرهم تاريخيّا،ذلك أنّ طبيعة الموضوع فرض على الروائي تحديد جنس الإهداء ، ومن الآثار الفنيّة الأولى للإهداء حضور اسم علم أجنبي؛ للدلالة على أنّ الرواية حاولت تجاوز المعطي البيئي والجغرافي نحو فضاءات أرحب، حيث تتعاضد الهويّات ضمن هويّة واحدة،ألا وهي الهويّة الإنسانيّة، فقد أشارالروائي إلى ويليام سبورتيس وهو: " **يهودي جزائري، نشأ المناضل ويليام في عائلة يهودية متوسطة الحال، ضمت ستة أبناء كان هو أصغرهم، وقد عاشوا بحي جنان الزيتون بمدينة قسنطينة شرقي البلاد، حيث ولد سنة 1923 في هذه المدينة التي كان معظم يهودها من السكان المحليين من أصل بربري** "[2]،كما يحمل هذا الإهداء الكثير من التساؤلات، من مثل: هل هو حقيقي بمعنىهل التقى الروائي بالمناضل ويليام في جنان الزيتون قسنطينة كما هو ظاهرا، أم هو لقاء رمزي وجماليةيحدّد تشاركهما في نفس وجهة التعايش مع الآخر، ونشير هنا أنّ ويليام ألّف كتابا بعنوان جنان الزيتون تحدّث فيه عن طفولته ، وعن فكرة أنّ للجزائر جالية يهوديّة،ويقول عنه الباحث أحمد ملياني: "**إنّ هذا الرجل ناضل كثيرا من أجل الجزائر مستقلة تضمن التقدم والعدالة الاجتماعية والديمقراطية لكل أبناءها لأكثر من سبعين سنة**" [3] ، وهذا ما يحيلنا إلى ظاهرة التناص بين رواية أنا وحاييم، وكتابجنان الزيتون الذيضمّ أحداثا من طفولته ونضاله في الحزب الشيوعي الجزائري، ويضيف الأستاذ ملياني متحدثا عن ويليام: **"تقلد مسؤولية الحزب الشيوعي على مستوى قسنطينة أيضا،**

[1] الرواية، باب الإهداء.

[2] سلمى قويدر، ويليام سبورتيس جزائري يهودي مناهض للاستعمار والصهيونية والاستبداد، جزائر ULTRA، 18 ديسمبر ultraalgeria.ultrasawt.com.2019

[3] سلمى قويدر، المرجع نفسه.

حيث كان عضو اللجنة المركزية، ثم عضوا إضافيا في المكتب السياسي لهذا الحزب" [1]، ولعلّ المؤّلفين يعدّان وجهين لعملة واحدة، هي عملة التعايش الهويّاتي.

-**على مستوى التاريخ:** عند التمعّن في أحداث الرواية، نجد أنّه من الأجدر وضعها ضمن جزء يسير من الرواية التاريخيّة؛ لأنّها تعيد تمثلّ تاريخ اليهود في الجزائر بطريقة إبداعية، فهي رواية شبه تسجليّة،تحاول أن توثّق لحقبة الجالية اليهودية في الجزائر خلال فترة الاستعماري الفرنسي، وحتى ما قبله، " **من أجل تحرير وطن أنجبتهما تربته، فتفارق بينهما الحرب التي غداة نهايتها كان كل شيء سيتغير وكان المسكوت عنه في الواقع والمكبوت في عمق الوجدان سينطق** "[2]، وتضعنا الرواية أمام مسارين اثنين هما:مسار الكشف والمهادنة : فقد أراد الروائي الترويج لفكرته وهي العولمة ؛ أي الاستجابة للقيم العالمية والتعايش السلمي، وأنّ الآخر (اليهودي) جزائريّ ، وهو جزء لا يتجزأ من هويتنا الثقافية، والمسار الثاني المتعلّق بالمراوغة والمناورة، كون حكاية اليهودي حاييم كما تقول الباحثة آمنة بلعلي : " **موضوعا مضللا يدفعنا لقراءته كوسيط سردي تسربت من خلاله مجموعة من الأنساق المضمرة بوعي أو بغير وعي، وجعلتنا ننصت إلى الحكاية نفسها وهي تقول أشياء أخرى من خلال مواقف وأحداث لم نعرها اهتماما لفرط شغفنا بمصير اليهودي حاييم**" [3]؛ أي أنّ هناك

[1] سلمى قويدر،المرجع نفسه.

[2] عبد المجيد دقنيش، لا يمكن للروائي إلا أن يكون شاعرا، صحيفة العرب، تونس، العدد11023،19جوان 2018. www.alarab.co.uk

[3] امنة بلعلي، زحام الأنساق في رواية " أنا وحاييم " للحبيب السائح، مجلةكلمات للإبداع والفكر،جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، ب س.

موضوعات فرعية لم نعرها اهتمام ا، فضاعت داخل عوالم حاييم الحكائيّة،و من قوة شغفنا بقص ته ومصيره، توجّب علينا ترك شعرية البواقيلصالح كل ما هو مضمر ومسكوت عنه، ومن هذه المواضيع:

2-1-الأقدام السوداء باعتبارها إرثا كولونياليّا:

قدّمت الرواية كثيرا من المعلومات والأحداث التاريخية التي لا نعلم مدى مصداقيتها، وبالمقابل همّشت موضوعات أخرى ذات قيمة تاريخية وهويّاتية ، ولم تعرها اهتماما، ومن بين الموضوعات التي تعرّضت لها الرواية بطريقة ضمنية وحذرة قضية الأقدام السوداء"، ويعرّفهاالكاتب بلال بوخضرة **"أولئك الأوروبيين الذين استوطنوا الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي سنة 1830، وبقوا فيها يعيشون ويتوالدون ويتكاثرون (...) وقد تركوا إرثا ثقافيا معتبرا رسم بصمته على التاريخ الجزائري الذي لا يستطيع قفز على هذه المرحلة وتجاوزها "** [1]،وشمل هذا المفهوم أوروبيي الجزائر فق ط دون اليهود الذين هاجروا إلى فرنسا رفقة الأقدام السوداء ؛ لأنّ يهود الجزائر أصولهم مختلفة ومنهم اليهود الأوائل الذين استوطنوا الجزائر مع السكان المحليين من البربر، ونظرا للاهتمام الكبير باليهودي حاييم ، فقد همّش طرح الأقدام السوداء، ولم يذكر في الرواية إلا نادرا، يقول أرسلان: **" إننا لا نعيش سوى وهم كوننا طلبة جامعيين أنظروا إلى ما يتمتع به نظراؤنا من الأقدام السوداء "**[2]، ويقول أيضا : **" يبدو أنّ صبرنا لن يدوم أكثر مما دام على استفزازات الطلبة العنصريين من أقدام السوداء "**[3]، فلم يكن ماضي الأقدام السوداء في الجزائر ونقيّا؛ بل شابه التدنيس والتزييف ، فقد مارسوا -كغيرهم من

[1] بلال بوخضرة، الأقدام السوداء بين فرنسا والجزائر، مجلة الحوار، 18 نوفمبر www.elhiwardz.com.2016

[2] الرواية، ص92.

[3] الرواية، ص92.

الأوروبيين –كل أشكال العنصرية على الجزائريين، وممّا لا شك فيه أنهم –عند حزم حقائبهم للعودة إلى فرنسا–، أدركوا الفرق في الامتيازات والمكاسب، ومع مرور الوقت قاموا برفع دعاوي لاسترجاع المنازل والممتلكات الجزائرية، ولكن الحكومة الجزائريّة، ومن منطلق السيادة والذاكرة التاريخيّة، رفضت مطالبهم؛ لأنّ في ذلك تهديد لأمن الجزائر واستقرارها.

3– تمثلات الهوية وتجلياتها الثقافية :

تناولت رواية أنا وحاييم العديد من القضايا التي كان لها صدى في الوسط الثقافي الجزائري ، كالعنصرية، والثورة ، وعلاقة الأنا بالآخر، وتجليات الهوية الجزائرية من خلال التعايش بين أفرادها ومع الآخر الفرنسي ، ومن خلال اللغة والعادات والتقاليد، وغير ذلك من أسس الهويّة الجزائريّ .

من خلال عنوان الرواية يصطدم القارئ باسم يهودي يجعله يضع احتمالات عن هويته ومكانته في الرواية وعلاقته بالأنا، وحاييم مثل الآخر المثالي وقف مع الأهالي ، ورفض فكرة الاحتلال وجعل موقفه معاديا لفرنسا ، وهنا يصبح خطاب الهوية يتضمن أرسلان الجزائري وحاييم اليهودي ، فالحكي بتعدّد موضوعاته كشف المسكوت عنه وطرحه في شكل فني ، وهذا ليس لسرد الأحداث فقط ؛ بل لكشف الحقائق وإلقاء الضوء على المو ضوعات التي تمسّ الفرد الجزائري ، وإعادة طرحها من جديد ؛ للوقوف على قيمة الهويّة، وأهميّتها، ودورها في تجسيد قيمة شعب الجزائري .

3- 1 اللغة :

تعدّ اللغة طريق وسبيل تفكير الإنسان، يعبر بها عن أحاسيسه وكل ما يجول في وجدانه، هي أداة التواصل بين الشعوب والأمم :" **إننا حين نقول الإنسان... فإننا نعني اللغة، وحين نقول اللغة... فإننا نقصد المجتمع.**"[1]، كما أنها تعتبر من الأسس التي تكون الهوّية، وتساهم في تحديدها، وتجسيدها، وترتبط بالهوّية ارتباطا وثيقا " **إنّ النظر إلى اللغة في علاقتها باللغة يتجاوز كونها أداة تواصل بين أفراد الجماعة إلى النظر إليها باعتبارها رمزا من رموز الجماعة تشارك في تحديدها وتعريفها**"[2]، وهنا إشارة أن اللغة وظيفتها تجاوزت التواصل، بل تجاوزت ذلك للتعبير عن ثقافة وانتماء

[1] فيصل حصيد، اللغة والهوية... جدل الثابت والمتغير، البشير ربوح، السؤال عن الهوّية، مرجع سابق، ص 191

[2] سعاد بضياف: لبوخ بوحملين، أثر الهوية في تطور اللغة العربية ،مجلة الأثر ، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد25 ، جوان 2016، ص 2 .

أمة من الأمم من خلال تجسيد هوّيتها، :" **بل هي كائن إيجابي وفاعل في إعادة إنتاج ذات هوّية** "[1]، وهذا إشارة إلى الدور الكبير الذي تقوم به اللغة في تشكيل الهوّية الاجتماعية .

3-1-1 اللغة عند أرسلان : هو بطل الرواية والسارد الذي تجري على لسانه الأحداث، من سعيدة ودخوله إلى مدرسة جول فيري إلى الجزائر، وتخرّجه واشتغاله بدار المعلمين،وعن حياته الدراسية وصداقته مع حاييم، عن كل مظاهر الاحتلال والعنصرية ، وقد مثل أرسلان الشخصية المثقفة والمناضلة وخير مثال عن المثابرة ، وهذا ما تخافه فرنسا ، فهذه الأخيرة استهدفت كل أسس الهويّة ، فنجدها تدخّلت في تسيير المدارس، والصحف، والمساجد، وغيرها ، كما حاربت أشكال التعليم باللغة العربية، وجعلت اللغة الفرنسية لغة رسمية للبلاد ، قضت على الزوايا ودور التعليم وحاولت نشر الدين المسيحي،غيّرت أسماء الأماكن مثل " **ساحة الدوق دورليان** " [2]،وقد كانت تسمى ساحة الجنينة قبل نزول الأتراك بالجزائر، ثم ساحة الشهداء بعد الاستقلال، سمت المدارس والجامعات والمقاهي وغيرها بأسماء فرنسية، واستهدفت الأهالي بمجلّات لاحتقارهم مثل مجلة " **كونسيونس ألجيريان** " [3]،وهي مجلة ذات توجّه مسيحي معادٍ للاستعمار ؛ أي أنّها جعلت من كل المجالات وسيلة لفرض نفوذها ووجودها في الأراضي الجزائرية .

[1] المرجع نفسه، ص 2 .
[2] الرواية ، ص 91 .
[3] الرواية ، ص 94 .

لكن الشعب الجزائري حاول بكل الطرق التمسّك بهويته من خلال عاداته ودينه ولغته الأصلية في محاولة لفرض وجوده، فسنوات الاحتلال جعلت اللغة الفرنسيّة تخللت تقتحم حياتنا اليومية بشكل ملفت للانتباه، حتى أنّه يوجد من يتقن اللغة الفرنسية بدرجة كبيرة .

يمثّل أرسلان كل جزائري باختلاف ثقافته أو درجة تعليمه رافضا الاحتلال بكل أشكاله، ولكن لغته لا تخلو من الكلمات الفرنسية، وجاء في الرواية :" **فأطلقنا سيقاننا ركضا في شورت وتريكو وصندل** "[1]، وعبارة :" **لافونتان** "[2]، وكذا عبارة" **احتراق المازوت** "[3]، نلاحظ أنّ لغة أرسلان عبارة عن لغة هجينة بين العامية والفرنسية المعرّبة، رغم محاولة الشعب الجزائري الحفاظ على لغته، ما يمثّل تهديدا مباشرا للهويّة اللغويّة .

3-1-2 اللغة عند حاييم : مثل الآخر المسالم ،كان حاييم ضد الاحتلال الفرنسي ، ومؤيدا للثورة الجزائرية، وساهم كثيرا في مساعدة الثوار من خلال صيدليته، فقد كان يقول :"**جذورنا من هذه الأرض**"[4]؛ أي أنّه يعتبر نفسه جزائريا ؛ حتّى أنّه لم يقبل التجنيس ، ولم يسافر مع بقية اليهود ، وكان يتكلّم العربية الفصحى بطريقة سليمة وخالية من أي كلمات فرنسية ، بالرغم من أنّ والده علمه العبرية، وبقية اليهود يتكلمون لغة هجينة بين العربية والعبرية ، وفي إشارة لذلك من الرواية " **فإنّ عائلة بن ميمون التي نزحت من مدينة الأغواط بعد احتلالها في بداية المنتصف الثاني من القرن**

[1] الرواية ، ص 13 .
[2] الرواية ، ص 26 .
[3] الرواية ، ص 42 .
[4] الرواية، ص 100.

الماضي، كما حدثني حاييم عنها ذات مرة ، كان لسان أفرادها مستقيما وسليما في نطقهم الأصوات العربية " [1] ، وعبارة" **اسم أوله لي حاييم بخبث إلى ويل لمعرفته اللهجة العربية لأن أمه زهيرة كانت لا تكاد تتكلمغيرها "** [2] ، ولكن نجد أنّ حاييم كان يتكلّم العامية مثل: **"خليك منو** "[3]و" **هانا تلاقينا "** [4]، وهذا في محاولة الاندماج مع الأهالي ، والتعايش معهم ؛ كونه يعتبر نفسه جزائريّ الهويّة ، فالجزائريون ما قبل الاستقلال تعاملوا مع اليهود بإنسانية ، وعايشوهم بكل حب ولطف، وهذا ما جعل عائلة حاييم ترفض كل ما هو فرنسي .

في قراءة مضادّة، قد يكون لتمكّن اليهود من اللغة العربية هو اتّقاؤهم بطش الجزائريين، لذا نشير إلى أنّ تكلم حاييم بلغة الجزائريين الأصلية يمكن أن يكون خوفا ورهبة، كون اليهود قاموا بالخيانة واتبعوا سُبل منفعتهم الخاصة ، وساهموا في مساعدة فرنسا للاحتلال، فاليهودي عندهم ماكر وخائن واللغة العربية دافع لاجتناب الشبهات .

3-2 الدين: من خلال الرواية نجد أن الراوي وظّف مؤشّرات كثيرة دالّة عن ا لديانتين، وهما: الإسلام واليهودية ، ووضّح أنّ كل الديانات نصت على التعايش السلمي ، والتسامح العقدي، وتجنّب كل أشكال التعصّب الديني، بالإضافة إلى تقبل الآخر ، والانفتاح على الديانات ، والثقافات باختلاف مشاربها،والدين له دور فعال في حياة الأفراد وتحديد وحدتهم " **إقامة الروابط الاجتماعية**

[1] الرواية، ص 30.
[2] الرواية، ص 31.
[3] الرواية، ص 80.
[4] الرواية، ص 99.

الحية كلّها عن طريق الدين، سواء أكانت على نطاق الأسرة أم على مستوى الوطن "[1]، ومن هنا نلمس مدى تأثيرة في تشكيل الهوّية، فالدين يشكّل الجزء الأكبر والمطلق من هويّة وثقافة الشعوب وهو: " **تأمين نقل المؤسسات والقيم من جيل إلى آخر هو بالنسبة لكل مجتمع شرط نجاته وبقائه في الزمن "**[2]، إذا فالدين عنصر مهم في بناء الشخصية لقدرته على ربط المجتمعات.

3-2-1 الدين عند أرسلان : وضح الراوي حالة الشعب الجزائري، وتمسكه بعاداته الدينية؛ لأنها تعتبر مصدر قوّته،فحتى في أيامهم الصعبة لم يتخلو ا عن مرجعيّاتهم الدينيّة، يقول أرسلان:"**ووعدتني بطاجين رقاق آخر في عاشوراء القادمة أو المولد النبوي ،إن صادف ذلك عودتي لعطلة ،وقبل أن أقوم إلى غرفتي حدثتها عن احتفاء أهل حي القصبة بالمولد النبوي ،بإيقاد الشموع وربط الحناء وإخراج الصدقات "**[3].

فالراوي يأشار إلى أنّ الشعب الجزائري حارب تغلغل الديانة المسيحية بالمناسبات الدينية كعاشوراء والمولد النبوي الشريف،لتذكير الناس بدينهم و حثّهم على الصمود والصبر والتوكل على الله سبحانه وتعالى،ونجد كذلك أنّ أرسلان -كونه مسلم- إلا أنّه يشرب الخمر ويذهب إلى ا لحانة ويغازل الفتيات عكس حاييم :"**كانت هذه أو تلك منهن تلقي تجاهنا من وقت إلى آخر التفاتة أو نظرة عابرتين"**[4]،وهذه إشارة إلى نتائج الأزمات والاضطهاد الذي تعرّض له الشعب الجزائري من المحتل؛ أي

[1] محمّد الزحيلي: وظيفة الدين وحاجة الناس إليه ،مرجع سابق، ص 83

[2] كاترين هالبيرن، وآخرون، الهويات (الفرد- الجماعة-المجتمع)، دار التنوير، الجزائر، تر: إبراهيم صحراوي، 2015، ص198.

[3] الرواية، ص 109.

[4] الرواية ، ص 62 .

أنّ فرنسا حقّقت ما تريده،وهذا ما جعله يحاول نسيان ألمه بالخمر والذهاب إلى الحانات، فقد أثر الاحتلال ماديا ومعنويا في حياة أرسلان، خاصة بسبب العنصرية، وانتهاكحرمات المساجد، والمنازل، ومحاربتهم في دينهم ولغتهم ، ففرنسا تعلم علم اليقين بأنّ محاربة الهويّة الدينيّة عند الجزائريين كفيلة بطمس باقي المرجعيّات الهويّاتيّة.

3-2-2 الدين عند حاييم : هو يهودي الأصل لم تتخل عائلته عن دينها والتزمت به، كما عبّرت عن أسمى مظاهر التعايش والإنسانية،بخاصة علاقة حاييم و بأرسلان، يقول هذا الأخير معلّقا على قبر صديقه حاييم:"**قرأت اسم حاييم بن ميمون تحت النجمة السداسية محفورا بالحروف العبرية** "[1]، وهنا قرأ اسمه على القبر وقد دفن حاييم بشاهد باللغة العبرية ، ونجد أنّ حاييم لم يكن يُجاهر بدينه، فحتى طريقة لبسه كانت تشبه لباس أرسلان، كما أنّ أمه كانت تجد صعوبة في شراء الملابس له، وذُكر مشهد قراءته من الكتاب المقدّس مرة واحدة عندما كانا في الجامعة . ويترجم هذا كمحاولة للاندماج مع الأهالي ،والابتعاد عن الدين كونه موضوع ا حسّاسا بالنسبة لهم، فكان تعامله معهم في إطار الدراسة أو النقاش حول الثورة .

كان حاييم لا يقرأ الكتاب المقدس أمام الناس، ولا يعطي حتى أمثلة منه، وكان كالكثير من اليهود يمارسون عقيدتهم في بيوتهم سرا خوفا من الناس، واسم حاييم ارتبط بكيان محتل، ولا يزال الكثير منهم يخفون ديانتهم، ويمارسون صلواتهم في البيوت للحفاظ على سلامتهم.

[1] الرواية ،ص 330 .

3-3 العادات والتقاليد:

لا تكون المواجهة بالسلاح فقط، فقد تأخذ أشكالا أخرى المواجهة كاللغة، والثقافة والعادات والتقاليد التي تبرز هويّة الإنسان، وتعلن عن وجود أمة مستقلة بذاتها، وكيانها، وهويّتها" **فيما تشكل الأزياء واللغة بالإضافة إلى بعض السلوكيات هوّية أصيلة للكثير من الأقوام التي ترفض التخلي عنها رغم انتفاء الحاجة إليها، وتصبح كتراث قومي لبعض المجتمعات تسعى في ديمومته والتمايز بع عن الأخرى** "[1]، وهنا شكّلت العادات والتقاليد عنصرا مهما حاول الشعب الجزائري الحفاظ عليه من الاضمحلال والتلاشي .

كان الشعب الجزائري الخصم الأضعف في معادلة الاحتلال الفرنسي، فحملُ السلاح و محاربة العدو عدّة، وعتادا، وخطّة كان صعبا،ولكن وبكل قوة تمسك الأهالي بأصلهم وأكّدوا على هويّتهم رغم أجواء المعاناة والألم، في ظل التحوّلات السياسية، والاجتماعية، والأيديولوجية التي فرضها المستعمر.

3-3-1 العادات والتقاليد عند أرسلان: جسّدت عائلة أرسلان الجزائرية أسمى مظاهر الاعتزاز بالعادات والتقاليد، فقد كشفت عن كل طرق الشعب الجزائري في الارتقاء بأصله في المناسبات الدينية، والأعراس، ومواسم الحصاد وغيرها ،"**ولكني أيضا أخبرت حاييم عن حفل نهاية موسم الحصاد، وقلت له إني تمنيت لو أنه كان حاضرا معي ليشاهد فانتازيا الخيالة وليأكل مشويْنا وسفة**

[1] محمّد حميد الصواف ،عادات الشعوب : تمسك بالتراث لديمومة الهوية ،شبكة النبأ المعلوماتية،الخميس 7 كانون الثاني 2010 www/annabaa.org

الكسكس بالعسل كما يشتهيها " [1]، وهنا يشير الراوي إلى أنّ الجزائريين كانوا يعتزون بكل ما تجود به أرضهم ،بخاصة القمح ، ويضعون لأجله مختلف الموائد ، ويقومون بالاحتفالات،كما نجد أنّ الجزائريات كن يتزيّن بالكحل والمسواك **"لبست أجمل عباءة لها،ووضعت حليها الذهبية الخفيفة في أذنيها وجيدها ومعصميها، وكحلت عينيها، ومضغت المسواك ومشطت شعرها "** [2]، فرغم الاختلاط بين الثقافات والأجناس؛ إلاّ أنّ الجزائريات تمسكنّ بعاداتهن، وهنا إشارة إلى الهويّة الثقافية فمحاولة الحفاظ على الثقافة المحليّة شملت حتى النساء ، فقد حاولن بكل الطرق إبراز وجودهن الثقافي للمحتل، ورفضن بذلك كل ما هو دخيل على عاداتهن وتقاليدهن، ويرون أنّ وجودهن مرتبط بوجود العادات، وبقاءه مرهونببقائها .

أبرز صور العادات والتقاليد تمثّلت في مشا هد عقد قران أرسلان على زليخة ، والتي يقول عنها أرسلان عند حديثه عن حاييم :**"وقال متظرفا إنها في أبهى زينة لها ،كانت في تنورة زهرية إلى ماتحت الركبتين وقميص أصفر فاتح وحزام بني وحذاء أسود ،بتسريحة مرسلة على الكتفين ومسواك بدل الأحمرفي شفتيها "** [3]، وهنا العروس تميّزت في عرسها بإبراز عاداتهم الخاصة ، بدل عادة الفرنسيين أو غيرهم في وضع أحمر الشفاه، ومن أسس وتقاليد الجزائريين الأصلية العمامة والبرنس عند الرجل**"حتى إذا ظهرت، بالعمامة والبرنوس، ممتطيا حصان والدي بسرجه المطرز بخيوط مذهبة**

[1] الرواية ، ص 42 .
[2] الرواية، ص 51 .
[3] الرواية، ص 274 .

وركابيه الفضيين حاملا بندقيته من نوع الزويجة " [1]، والبرنوس في المغرب العربي عامة والجزائر خاصة ارتبط ارتباطا وثيقا بتحديد الهويّة الثقافيّة والاجتماعيّة، فهو لباس تقليدي مليء بالدلالات الرمزية مثل الرجولة ، والشهامة ، والهيبة ، والحرمة ، ارتبط اسمه في الجزائر بالمقاومة، وقد ارتداه الكثير من مقاومي الاحتلال وأبرزهم الأمير عبد القادر الجزائري، ويعتبر البرنوس من المقومات الثقافية الجزائرية التي تبرز الصمود، والارتقاء، والتمسك بالهويّة، والاعتزاز بتقاليد الجزائر العريقة .

أظهر الأهالي كل ما يجسّد وجودهم ويبرز هويّتهم،بخاصة في الأكل التقليدي"**فكلف من النساء من فتلن الكسكس وفورنه في كساكيس من الحلفاء على بخار قدور من معدن لافونت ،وكلف من عجن خبز المطلوع وأنضجنه ودلكن المسمن وقلينه، ومن أشرفن على تحضير الحريرة "** [2]،وكانت قائمة طعام عقد القران عبارة عن مجموعة من الأكلات التقليدية أبرزها الكسكس، وقد غردت وزيرة الثقافة مليكة بن دودة عبر حسابها على التويتر أنّ الكسكس :" **نسق ثقافي وأسلوب حياتي،إنّه طقس متجذّر منذ قرونفي الأفراح والأقراح،في الاحترام والاحتفاء،في التضامن والدعم وهو إشارة مبكرة عن التنوع الذي آمنت به ساكنة المنطقة بتعدده وتنوعه "**[3]، ويشكّل طبق الكسكس رمزيّة مقدّسة، ولأنّه كذلك فمعظم الجزائريين يتناولوه يوم الجمعة لإبراز العلاقة التكامليّة والتفاعلية بين الهويّة الثقافيّة والهويّة الدينيّة.

[1] الرواية، ص 278 .

[2] الرواية، ص 277 .

[3] عيسى ض ، الكسكسي تراث عالمي ،طبق الكسكس، وزيرة الثقافة مليكة بن دودة ،جريدة أخبار دزاير، www/akhbardzair.com، ديسمبر 2020. 16

3-3-2 العادات والتقاليد عند حاييم : منح مرسوم كريميو الشهير 1870 الجنسية الفرنسية لليهود،الشيء الذي رفعهم من كونهم رعايا إلى مواطنين فرنسيين،وهنا شعر الأهالي بالخيانة وظهر التعصب الديني اتجاه اليهود،ولكن عائلة حاييم شكّلت الاستثناء بوقوفها مع الأهالي، وإتّباع بعض عاداتهم كجزء من التركيبة الثقافية والاجتماعية للشعب الجزائري، وتعدّدت أشكال انتمائهم بين اللباس والأكل، وحتّى عادات الأفراخ والمناسبات" **وعوائد الأعراس عند عائلات اليهود والمسلمين وتشابهها كما في مراسم موكب العروس يوم زفها إلى بيت العريس أو في هودج أو على ظهر دابة** "[1]، وهنا نجد أنّ الانتماء الكلي والتعايش مع الأهالي جعل بعض اليهود يمارسون نفس عادات الجزائريين، وهم رافضون للاحتلال الفرنسي، ويعتبرون أنفسهم أبناء هذه الأرض التي استقبلتهم واحتضنتهم،فلختلاف الديانة والمعتقد لم يكن عائقا بين الشعبين من أجل التلاحم، فالشعور بالانتماء تخطى كل المعايير التاريخية، والدينية، والعرقيّة، فعائلة حاييم لم تر من الجزائريين ما يجعلها تراجع موقفها اتجاه الاحتلال؛ بل وتعرّض حاييم للعنصرية إلى جانب أرسلان ، ولطالما اعتبر نفسه جزائريا حتى النخاع، واتبعت عائلته عادات وتقاليد الجزائريين؛ لأنها تعتبر نفسها جزائرية رافضة للتجنيس، ولم يكن حاييم يرى فرقا بين عاداته وعادات الجزائريين، ولا يحسّ نفسه غريبا ، ففي عقد قران أرسلان " **ثم ختم بقراءة جماعية لسورة الفاتحة التي رددها مع المرددين منصرفين الذهن إلى حاييم بجانبي صامتا في خشوع لا أحد سواه يعلم ما يدور في خلده إلا أن يكون مثلما احتملت ، فقد تذكر حضوره مراسم عقد قران من أقارب لوالديه ،في سعيدة أو جريفيل ،وجد طبيعتها لا تختلف كثيرا كما يشاهده** "[2]،وتجدر الإشارة إلى مكانة اليهود بعد تعاملهم مع فرنسا ومساعدتهمعلى احتلال الجزائر،جعلتهم في صورة العدو عند الأهالي،والاندماج بين الجزائريين يمكن أن يعدّ حماية وخوفامن العقوبات،ويذكر أن لباس والدة حاييم تقريبا هو نفس لباس والدة وجدّة أرسلان " **لأن أمي كانت لا**

[1] الرواية ، ص 40 .

[2] الرواية، ص 275 .

تنقصها غير الملحفة مثل جدتك و أمك "[1]، فالتقارب الثقافي الحاصل بين المجتمع الجزائري والأقليّة اليهوديّة خلال فترة الاحتلال الفرنسي، جعلهم ينتمون إلى نفس دائرة الهويّة الاجتماعية المشبّعة بالقيم، والعادات، والتقاليد .

[1] الرواية ، ص 77 .

الخاتمة

الخاتمة:

ارتبط مفهوم الهوّية في الأدب الجزائري عامة والرواية خاصة بفترة الاحتلال الفرنسي،فهذا الأخير عمل جاهدا من أجل القضاء على الهويّة الجزائرية و طمسها، وضرب الشعب الجزائري في لغته ودينه ومقوماته، ولكنّه تمسّك بهوّيته ، ودافع عنها من خلال محاولة المحافظة على لغته الأصلية ، وعاداته وتقاليده، وكل ما يعبّر عن الوعي الهوّياتي ،كما عالجت الرواية قضايا وطنية عميقة ، سعى الروائي من خلالها إلى التأكيد على الهوّية الوطنية في ظل السيرورة التاريخية التي تتميّز بالتغيّر والتجدّد ، وقد أفضت دراستنا **الموسومة بخصائص خطاب الهويّة في رواية أنا وحاييم للحبيب السائح** إلى جملة من النتائج نوجزها فيمايلي:

- إذا كان للهويّة معيار قار وثابت يحدّده المفهوم اللغوي والاصطلاحي؛ للوقوف على خصائص مجموعة اجتماعية مخصوصة، فإنّها في الرواية تتداعي بفعل التحوّلات التاريخيّة التي تفرض أنساقا ظاهرة ومضمرة، وثقافة العولمة التي أصبحت ترى العالم بمنظار متعدّد الطروحات، كالبراغماتية الاحتكارية.

- يعدّ العنوان رسالة مشفّرةطرح الروائي من خلالها فكرة التسامح الديني الذي يمثّل أنموذجا حيًّا لروح المواطنة، والتحرّر من الانغلاق الفكري،وهي من القيم الجديدة التي تقوم عليها ثقافة العولمة .

- شكّل الطرح الكولونياليدافعا قويّا وحافزا للشعب الجزائري؛ للتمسك بلغته، ودينه، وثقافته، والدفاع عنها، بخاصة عاداته وتقاليده والاعتزاز به م ا،ولم يقتصر الدفاع والتصدي للمحتل علىالرجال فقط ؛بل

كان للنساء دور كبير في تجسيد أسس الهوّية الجزائرية ، وإظهارها في كل مناسبة ،فقد تجسّدت في سلوكاتهنّ وطقوسهنّ الحياتية .

- أشار الحبيب السائح من خلال توظيفه إلى شخصية يهودية امتازت بالنقاء، والعفّة، والطهارة؛ أي أنّه لا يمكن الحكم على الوعي الفردي من خلال الهويّة الجمعية ،وأنّ شخصا واحدا لا يمثّل المجموعة.- جسّد الكاتب مفهوما عميقا للثورة من خلال العلاقة القويّة بين الصديقين **أرسلان** و**حاييم**،إشارة منه إلى أنّ التصدي والدفاع عن الجزائر، شارك فيه اليهود بقوّة باعتبارهم جزءا منها،مع إمكانية قراءة الثورة كحدث إنساني تجاوز الوعيالهوياتي .

- مثّل حاييم جزءا من التركيبة الثقافية والاجتماعية التي شكّلت الهوّية الجزائرية،فمن خلال الرواية قدّم الروائي شخصيّة**حاييم** من دون إيديولوجيات صهيونيّة متطرّفة .

- تطرح رواية **أنا وحاييم** قضية الأنا والآخر وفق أنساق مضمرة توجه القارئ إلى التفكير في طبيعة الآخر ودوره في الرواية ودلالاته، كالأقدام السوداء.

- تشكّل الهويّة الثقافية عنصرا مؤسّسا لمحكي الرواية عند**الحبيب السائح**؛ لأنّها تطرح مظاهر العادات والتقاليد عند عائلتي أرسلان وحاييم، فالرواية تمتلك هوّية ثقافية تنبثق من مرجعيات معرفية متعدّدة منها العربية ،والأمازيغية، واليهوديّة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم، برواية ورش.

أوّلا: قائمة المصـــــادر:

- الحبيب السائح، رواية أنا وحاييم، دار ميم للنشر،الجزائر، ط1، 2018

– ثانيا:قائمة المراجـــع:

- إسماعيل ملحم، الخصوصية في الثقافة القومية العربية، (دور الإنتاجية والإبداع)، منشورات إتحاد الكتاب، سوريا، 1996.

- إلياس بلكا ومُحَّد حراز، إشكالية الهوّية والتعدد اللغوي في المغرب العربي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتجية، أبوظبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2014.

- البشير ربوح، السؤال عن الهوّية في التأسيس ... والنقد... والمستقبل، ضمن مؤلف جماعي، كلمة للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2016.

- تركي رابح عمامرة، الشيخ عبد الحميد بن باديس، باعث اللغة العربية في الجزائر العاصمة، الجزائر، ط2، 2003.

- حسن البحراوي، بنية الشكل الروائي(الفضاء، زمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1990

- حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، مركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2011.

- خالد حسين حسين، في نظرية العنوان مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية، دار التكوين، د ب، د ط، د س.

- رشيد بوجدرة ، الأنا والآخر ورهانات الهوية في المنظومة الأدبية الجزائرية، منشورات دار الأديب، وهران، الجزائر، ط1، 2007.

- عباس يوسف الحداد، الأنا في الشعر الصوفي ابن الفارض أنموذجا، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط2، 2009.

- عبد المالك أشهبون، العنوان في الرواية العربية، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا،ط1، 2011.

- عمر عبد العلي علام، الأنا والآخر الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2005.

- فاضل أحمد العقود، جدلية الذات والآخر في الشعر الأموي (دراسة نصية)، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1، 2012.

- مُحَمَّد الزحيلي، وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، دمشق، سوريا، ط1، 1991.

- مُحَمَّد بوعزة، تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.

- مُحَمَّد عابد الجابري، العرب والعولمة، مركز ايسات الوحدة العربية، القاهرة، مصر،ب ط، 1998.

- مُحَمَّد عمارة، مخاطر العولمة على الهوّية الثقافية، دار النهضة، مصر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1999.

- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، د ط، 1998.

- مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنامينه، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، د ط، 2011.

-ثالثا: قائمة المراجــع المترجمة إلى اللغة العربية:

- غاستون باشلار، جماليات المكان، تر : غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1984.

-كاترين هالبيرن وآخرون، الهوّيات (الفرد-الجماعة-المجتمع)، تر: إبراهيم صحراوي، دار التنوير، الجزائر،ط1، 2015.

رابعا:قائمة المعـــــاجم والقواميس:

- ابن المنظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 2005.

- عبد القاهر الجرجاني، التعريفات، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتفضيل ، القاهرة، مصر، ط1، 2004.

- معجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، ط5، 2011.

خامسا: قائمة المجــلاّت والدوريات:

- آمنة بلعلى، زحام الأنساق في رواية (أنا وحاييم) للحبيب السائح، مجلة كلمات للإبداع والفكر تصدر من باريس، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر.

- سعاد بضياف، لبوخ بوحملين، أثر الهوّية في تطور اللغة العربية، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد25، جوان2016.

- سلطان بلغيث، تمظهرات أزمة الهوية لدى الشباب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تبسة، الجزائر، عدد خاص، 2019

- عادل الأسطة، أنا وحاييم رواية جزائرية عن يهود الجزائر، جريدة الأيام الفلسطينية، 9 ماي 2021.

- مليكة ياسين، الكتابة في دروب واعرة، مجلة العربي الجديد،مصر 8مارس2020.

- نور الهدى غرابة، سليم كرام،المرجعيات الثقافية وبناء المتخيل السردي قراءة في رواية (أنا وحاييم للحبيب السائح)، مجلة إشكالات في اللغة والأدب،جامعة تامنغست، الجزائر، مج 10، عدد 1، 2021.

- وهيبة إسماعيل، تضايف اللغة والهوّية في رواية (مملكة الفراشة) لواسيني الأعرج، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر، العدد 14.

-سادسا: قائمة المواقع الالكترونـــية:

- منتدى العلماء، الهوّية والثقافة، مجلة الكترونية، http//msf-.2016-6-22 online.com/

- بلال بوخضرة، الأقدام السوداء بين فرنسا والجزائر، مجلة الحوار ، 18 نوفمبر 2016 ، www.elhiwardz.com

- حسن حنفي، الهوّية واللغة في الوطن، ، 11 جوان 2010، رابطه في موقع التجديد العربي http//www.arabenewal.info

- سلمى قويدر، ويليام سبورتيس، جزائري يهودي مناهض للاستعمار والصهيونية والاستبداد،جزائر، ultra 8 ديسمبر 2019، ultraalgeria.ultrasawt.com

- عبد المجيد دقنيش، لا يمكن الروائي إلا أن يكون شاعرا، صحيفة العرب، 19 جوان 2018 ، www.alarab.co.uk

- عيسى ض، الكسكسي تراث عالمي، طبق الكسكسي، وزيرة الثقافة مليكة بن دودة، جريدة دزاير، 16 ديسمبر 2020، www.akhbardzair.com .

- لونيس بن علي، أنا وحاييم للحبيب السائح... رواية عن الجزائر المتعددة، جزائر ultra، 16 أكتوبر 2019، ultraalgeria.ultrasawt.com

- مُحَمَّد حميد الصواف، عادات الشعوب: تمسك بالتراث لديمومة الهوّية، شبكة النبأ المعلوماتية، الخميس7 كانون الثاني www.annaba/org2010 .

- واسيني الأعرج، حاييم أو سيرة اليهودي الطيب، صحيفة القدس العربي، 18 ديسمبر 2018 ، www.alquds.co.uk

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
شكر وامتنان..... .	
إهداء.....	
مقدمة.....	أ-د
مدخل: الهوّية من المفهوم إلى الممارسة	
1-مفهوم الهوّية.....	7
1-1الهوّية في اللغة.....	8-7
1-2 الهوّية في الاصطلاح.....	10-8
2- خصائص الهوّية.....	11
2-1 الهوّية الديني	12-11
2-2 الهوّية الثقافية..... .	13-12
2-3 الهوّية اللغوية..... .	15-14
3- **حضور الهوّية في الرواية الجزائرية**..... .	19-15
الفصل الأول: الأثار الفنّية للتجلي الهوّياتيوتمظهراته الدلالية	
1- العنوان والازدواجية الهوّياتية.....	21
1-1 العنوان الرئيسي.....	26-22
1-2 العناوين الفرعية، ورحلة البحث عن الكائن والممكن.....	32-27
2- التمظهرالشخوصي بين الإختلاف العقدي والائتلاف الهوّياتي.....	33-32
2-1 شخصية أرسلان.....	35-34
2-2 شخصية حاييم.....	38-36
3- الفضاء المكاني بإعتباره فضاء الاحتواء والإقصاء.....	40-38
3-1 الأماكن المغلقة.....	45-40
3-2 الأماكن المفتوحة.....	48-45
الفصل الثاني: تمثلات الهوّية وانعكاساتها الايديولوجية	
1-التعايش الحضاري، وتمثلات الأنا والآخر.....	50
1-1 تعريف الأنا.....	51
1-2 تعريف الآخر.....	51

2- المضمر والمسكوت عنه.....	59-55
2-1 الأقدام السوداء باعتبارها إرثا كولونياليّا.....	60-59
3- تمثلات الهوّية، وتجلياتها الثقافية.....	61
3-1 اللغة.....	64-61
3-2 الدين.....	67-65
3-3 العادات والتقاليد.....	71-67
الخاتمة.....	74-73
قائمة المصادر والمراجع.....	80-76
فهرس المحتويات.....	

ملخّص الدّراسة:

تناولت الرواية الجزائرية العديد من الموضوعات المرتبطة بالواقع المعيشي، من بينها موضوع الهويّة الوطنيّة، ومحاولة فرنسا طمسها، وترسيخ مبادئ ثقافتها عند الجزائريين، وقد حاول الشعب الجزائري الصمود والوقوف ضدّ أيّ تدخّل يهدّد هوّيته، وتعدّ رواية أنا وحاييم من النماذج الروائيّة التي انفتحت على العديد من الأنساق المعرفية المستقاة من التاريخ، والمجتمع، والثقافة، والدين، فقد سعت دراستنا الموسومة **بخصائص خطاب الهوّية في رواية أنا وحاييم للحبيب السائح**، إلى مقاربة موقف الروائي من خلال طروحاته الداعية إلى التأكيد على الهوّية الوطنية عبر رسالة مشفّرة أكّد فيها على ضرورة التعايش السلمي، والتحرّر من الانغلاق الديني.

الكلمات المفتاحية: الهوّية، الثقافة، التّاريخ، الدين، اللّغة، الثورة.

Résumé:

Le roman algérien traitait plusieurs sujets des son apparition et refléte la réalité vécue dont l'identité nationale ; et les tentatives de la France de l'effacer ; et établir des principes culturels cher les algériens .le peuple algérien à essayé toujours à faire face et résister à toute ingérence qui menace son identité. On considère le roman Ana w hayim comme l'un des modèles romanciers qui s'est ouvert a de certains formats cognitives dérivées de l'histoire ; la société ; la religion et de la culture ; notre modeste études s'intitule « **les caractéristiques du discours identitaire ; cas de roman ana w hayim de habib elsayah »** a cherché de approcher la vision du romancier à travers ses thèses et ses thèmes appelant à la confirmation d'identité nationale à travers un message crypté dans lequel il exige la nécessité d'une coexistence pacifique , et libération de fermeture religieuse.

Mots clés: l'identité, la culture, l'histoire, la langue , la révolution.

Abstract:

the Algerian novel tackled various topics and themes which are related to everyday life and to the reality of Algerian people; among which, the theme of national identity and the attempt of France to oliberate and blur it. In addition to the consolidation of its cultural principles among Algerians. The Algerians attempted to withstand against any intervention that threatens their identity. In this regard, the novel of "ana w hayiim" sheds light on many aspects of history, society, culture and relegion. Consequently, the current studythe current study which is entitled **the principlesof identity speech in the novel of ana w hayiim written by alhabiibasayeh** which is tagged by the principles of national identity sought to approach the novelist's position through his writings, calling for the affirmation of national identity via an encrypted message in which he stressed the need for peaceful coexistance and freedom from relegious closure .

key words: Identity, Culture, History, Relegion, Language, Revolution